بغداد في حياة الجاحظ

الأستاذ المساعد الدكتور
زاجية عبدالرزاق حسن الأبراهيم
جامعة البصرة - كلية الآداب

بغداد في حياة الجاحظ

الأستاذ المساعد الدكتور
زاجية عبدالرزاق حسن الأبراهيم
جامعة البصرة - كلية الآداب

الملخص :

تعد البصرة بمربدها وعلمائها ونزعتها في الاعتزال مع بغداد مدينة السلام التي أنشأها المنصور عام (١٤٥ هـ) واتخذها عاصمة للخلافة ومع سر من رأى التي أنشأها المعتصم واتخذها عاصمة للخلافة عام (٢٢١ هـ) في تكوين الجاحظ أديبا فذاً وعلماً من أعلام علم الكلام البارزين وقد هيأت له حياته في الحواضر الكبرى الثلاث فرصة نادرة للدراسة والتأليف والاتصال برجال الفكر والسياسة والأدب وبالمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل فنال جوائزهم وتمتع برعايتهم وتشجيعهم وهذا واضح بصورة خاصة في بغداد وسر من رأى في زمن المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل عبر رجال الأدب والسياسة البارزين إبراهيم بن العباس ألصولي والفتح بن خاقان ومحمد بن عبد الملك الزيات ومحمد بن أبي دؤاد كما هيأت له حياته في بغداد وسر من رأى فرصة نادرة للجاه والثراء و أن هذا الدور من ادوار حياته وهو دور طويل يمتد نحو الخمسين عاما غمر فيه الجاحظ الحياة الأدبية والعقلية في العالم الإسلامي بذلك الفيض الزاخر الذي كان يجمع الألوان المختلفة من وجوه النشاط الفني والعلمي .

المقدمة :

إن حياة الجاحظ مرت في مرحلتين مرحلة البصرة التي ولد فيها وتعلم وتفتح ومرحلة بغداد التي فيها اكتمل تكوينه العقلي والأدبي وإبداع أثاره الخالدة (١) .

كانت نشأة الجاحظ بالبصرة وظل بها عاكفاً على التعلم والدرس والاطلاع كما كان مقصود الجانب للاستفادة من مناظراته والتفقه بمحاضراته وكان كثيراً ما يترك البصرة قاصداً غيرها من المدن الإسلامية المعروفة في ذلك العهد للبحث والاستقراء ولقاء العلماء ثم يعود إليها مفعم الوطاب بصنوف العلوم وضروب الآداب ولما جاوز الخمسين من عمره عنت له الرحلة إلى بغداد واتخاذها دار إقامة له وذلك في عهد المأمون الذي طار بها أوج الرقى والعلاء وكان دخوله بغداد في سنة (٢٠٤ هـ) وفي الوقت الذي قدم إليها المأمون وما هو أن استقر به المقام فيها حتى تصدر للتعليم والمناظرة والتأديب والمحاضرة فقصد أليه العلماء وأمه الأدباء واقبل عليه الطلاب من كل صنف ومن كل جنس وعلى اختلاف الملل وتباين النحل(٢) .

لم تكن أفاق البصرة على رحبها لتكفي أبا عثمان فانصرف عنها إلى بغداد عاصمة العالم الإسلامي في ذلك العهد وكانت تجتذب أليها نخبة المفكرين وأهل الفن فهذه المدينة ما كانت يوم ذاك مركزاً من أهم

المراكز الاقتصادية في العالم وحسب بل كانت أيضا و خصوصاً عاصمة العلم والأدب والجمال وكان تساهل الخلفاء العباسيين حافزاً للكتاب أيا كان مذهبهم وأصلهم على الإقامة فيها فصارت على حق عين العراق وكانت العراق عين العالم وقد أفاد الجاحظ من جو بغداد هذا لتوسيع ثقافته وتكنيزها (٣) .

إن لحياة الجاحظ في مرحلتيها البصرية والبغدادية أثرا كبيرا في أنتاجه العلمي ونقده الأدبي ذلك لان النشأة والبيئة تملكان الأثر الأكبر والقسط الوافي في توجيه أدب الأديب ومده وتغذيته فالوسط الاجتماعي والأدبي والفكري والاقتصادي قد عمل بتفاعلاته على تكوين شخصية الجاحظ وذهنيته الجبارة فهو أي الجاحظ نتاج صاف للبصرة اذ قضى فيها القسم الأوفى من حياته لكنه كان نبته إقليمية تغذت بنسغ قوي مستمد من ارض خصبة فلم تتفتح بصورة كاملة ولم تؤت ثمارها إلا في العاصمة بغداد في عصره كانت ملتقى رجال الفكر والثقافة والحضارة أن عصره الذي دعاه بعضهم (٤) بعصر الجاحظ من العصور الهامة والفاصلة في التاريخ الإسلامي انه عصر تمازج الثقافات والجاحظ وليد هذا العصر . وهكذا فقد ظل الجاحظ حتى في بغداد على صلة بالبصرة تمرس بالعلوم السائدة فيها وكل شيء في تصرفاته وأثاره يوحي بتأثير البصرة ففيها تعلم وهو مدين لعلماء البصرة بثقافته العربية وبعد تخرجه من الكتاب اذ حفظ القران سلك مسلك الهواة فلازم بعض رواة الحديث ولكنه كان يفضل عليهم حلقات اللغويين والنحاة والندوات التي كانت تعقد في المسجد أو سوق المربد اذ كان يحضر المساجلات الشعرية ويستمع إلى رواة الإخبار كما أنه لم يفته الاستماع إلى بعض الوعاظ الشعبين (٥) .

أن النظرية القائلة بان الإنسان هو ابن بيئته تجد تطبيقا حيالها في الجاحظ ونتاجه لقد جاء نتاجه ثمرة للعصر العباسي الأول و الربع الأول من العصر العباسي الثاني بمختلف فعالياته السياسية والاجتماعية والفكرية والأدبية والعلمية وقد أدرك الجاحظ نفسه مدى تأثير البيئة في الإنسان والحيوان وكان من أوائل المفكرين الذين تكلموا عن هذا التأثير في جسم الإنسان وسلوكه ونفسه ولعل هذا هو الذي حدا المستشرق الفرنسي شارل بلات على القول بان الجاحظ نتاج صاف للبصرة (٦) . ويؤخذ على هذا الرأي إغفاله تأثير بغداد في الجاحظ تلك المدينة العظيمة التي كانت عاصمة الدنيا آنذاك والتي سلخ فيها أبو عثمان نحو نصف عمره وفيها صنف أكثر كتبه فضلا عن أن الأخذ بنظرية تأثير البيئة التي اعتمدها شارل بلات تحتم عليه السير بها إلى نهاية المطاف والقول بأن الجاحظ تلقى تأثير بغداد كما تلقى تأثير البصرة وهذا ما سنوضحه من خلال هذا البحث .

إن اتجاه الجاحظ إلى بغداد وكيف تأدت به سبيله إلى هذه الغاية من غايات المجد الأدبي الذي مازال يراوده ويتخايل له منذ صباه وكيف أخذت الملابسات المختلفة تدفع به إلى هذا الدور من ادوار حياته وهو دور طويل يمتد نحو الخمسين عاما غمر فيه الجاحظ الحياة الأدبية والعقلية في العالم الإسلامي بذلك الفيض الزاخر الذي كان يجمع الألوان المختلفة من وجوه النشاط الفني والعلمي وكان يتغلغل في جميع

البيئات قريبها وبعيدها من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ولكننا نستطيع أن نرى هذا الدور الطويل من حياة الجاحظ ينقسم أول شيء انقساماً طبيعياً إلى فترتين متميزتين يفصل بينهما ذلك الحادث الخطير الذي كان بليغ الدلالة في سير التاريخ الإسلامي كما كان ظاهر الأثر في حياة أبي عثمان وهو مقتل وزير الدولة محمد بن عبد الملك الزيات وكذلك يلاحظ أن كل فترة من هاتين الفترتين تشتمل على مراحل فالفترة الأولى نتبين فيها مرحلتين ظاهرتين نستطيع أن نسمى الأولى باسم ثمامة بن اشرس والثانية باسم محمد ابن عبد الملك الزيات وكذلك الأمر في الفترة الثانية إذ نستطيع أن نتبين فيها ثلاث مراحل الأولى ما بين مقتل ابن الزيات سنة (٢٣٣هـ) وولاية عبيد الله ابن يحيى بن خاقان الوزارة سنة (٢٣٦هـ) والثانية ما بين سنة (٢٣٦ هـ)هذه وسنة (٢٤٧هـ) وهي السنة التي قتل فيها المتوكل والثالثة ما بين سنة (٢٤٧ هـ)هذه وسنة (٢٥٥هـ) وهي السنة التي مات فيها الجاحظ وعلى هذا التخطيط نستطيع أن نبدأ بحثنا وتصويرنا لهذا الدور من حياة الجاحظ .

أتصاله بالعلماء و الأدباء :

تابع الجاحظ في بغداد دراسته لمختلف العلوم المتنوعة بدءا من الحساب وانتهاء بعلوم الدين مرورا بفقه اللغة وعلومها والطب والشعر وعلم الكلام معطا مكانا خاصة لدراسة الفلسفة اليونانية (٧) .

ولكنه لم ينتج الجاحظ شيئاً يوم رحيله من البصرة في أواخر القرن الثاني للهجرة بل اكتفى بتدوين معارفه واستكمالها ففي العاصمة بغداد اخذ يؤلف بصورة متزايدة ولم يمنعه هذا من توسيع أفق معارفه فاكتسب في بغداد ثقافة ثالثة مصدرها قراءة الكتب اليونانية ثم أن معاشرة كبار المعتزلة كالنظام خاصة أتاح له إيجاد طريقة جديدة الاعتزال عرف بها كانت في حالة كمون قبل رحيله من البصرة ولم تكن بلغت درجة الكمال بعد كما أن مكثه الطويل في بغداد وسامراء أتاح له أتمام معارفه الموسوعية وتثبيتها واغناء عقله بمراقبة العادات والتقاليد والأوساط الجديدة على أن ما اكتسبه في البصرة يظل أساسا لكل هذا (٨) .

ومعروف أن البصرة كانت دار الترجمة قبل نشوء بغداد وفيها ترجم ابن المقفع كليلة ودمنة وكتب الآداب الفارسية ومنطق أرسطو طاليس وبهذه الثقافة العلمية التي حققتها لنفسها مبكرة استطاعت أن تضع علم النحو وقوانينه النهائية كما استطاعت أن تظفر بالمعتزلة أصحاب الفكر الحر في الدراسات الدينية وصلة المعتزلة بالفلسفة مقررة معروفة ولذلك يكون من الخطأ أن يزعم زاعم أن الجاحظ لم يقرأ الترجمات اليونانية إلا في بغداد (٩) . بعد أن تجاوز الأربعين من عمره حين دخلها وأقام فيها لعهد المأمون فقد كانت تحت بصره في دكاكين الوراقين ولم يكن يكتفي بقراءة كتاب أو كتب في اليوم الواحد إذ يذكر صاحب الفهرست أنه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للقراءة والنظر (١٠) . أما الكتب المنقولة التي قدر للجاحظ أن يعيش في زمن أقدم فيه العرب على أضخم حركة للنقل عرفها تاريخهم أدت إلى

وضع تراث الأمم الأعجمية التي سبقتهم في مضمار الحضارة بين أيديهم فاقبلوا على قراءتها بنهم شديد وإذا كان خالد بن يزيد بن معاوية قد دشن تلك الحركة واسهم فيها بعده عبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز والمنصور والرشيد فان الذي أوصلها إلى الذروة هو المأمون الذي أسس بيت الحكمة سنة(٨٣١م) وجعله مركزا للنقل والأبحاث وحشر فيه أكثر من مائة مترجم انكبوا بدأب ونظام على نقل جل التراث اليوناني والفارسي والهندي إلى العربية خلال زمن قصير (١١) .

أن الجاحظ لم يتردد عن الإفادة شخصيا في دراسة الكتب القديمة المعروفة في ذلك العصر وبخاصة من الترجمات العربية لروائع الفكر اليوناني ومن هذه الزاوية كان لمكثه في بغداد العاصمة فائدة كبرى (١٢)

وعندما انتقل الجاحظ إلى بغداد عاصمة الخلافة اتصل بالأصمعي وأبي عبيدة معمر بن المثنى وأبي زيد الأنصاري والنظام والاخفش وصالح بن جناح اللخمي وابن وهب وسواهم فاستقامت له علوم اللغة والكلام والنحو والحكمة وأتقن أساليب الأدب شعراً ونثراً كتابة وخطابة على السواء (١٣) . وكان الجاحظ كثيرا ما يقصد الكوفة وبغداد ليصل بعلمائهما وأدبائهما (١٤) .

ولم يشعر الجاحظ بالوحشة في بغداد إذ قد وجد بيئة شبيهة بتلك التي تركها في البصرة فقد كان يكفيه الذهاب إلى مسجد ابن رغبان ليجتمع بمشاهير مواطنيه الذين يعيدون بناء الجو البصري وهكذا اجتمع بأساتيذه والقدماء وعلى رأسهم العلاف وتلقى العلم على احد زملائه القدامى أبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام (المتوفى سنة ٢٢٠ أو ٢٣٠ هـ) (١٥) . وفي بغداد طاب له المقام واخذ يتعرف على بيائتها الأدبية والعلمية في النوادي والمساجد وحلقات الدرس والمناظرة .

وفي طليعة هولاء الرواة واللغويون الذين اتصل بهم و اثروا في فكره أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي بالولاء (١١٠ – ٢١٠ هـ) روى عنه الجاحظ الأشعار والأخبار واللغة والطبيعيات وذكره عشرات المرات واعترف بسعة علمه فقال عنه انه ليس في الأرض خارجي ولا جماعي اعلم بجميع العلوم منه وقال عنه ابن قتيبة ((كان شعار الغريب اغلب عليه وأخبار العرب وأيامها وكان مع معرفته ربما لم يقيم البيت أذا انشده حتى يكسره وكان يخطئ أذا قرأ القران نظر و كان يبغض العرب وقد ألف في مثالبها كتبا وكان يرى رأي الخوارج)) (١٦) .

استقدمه الرشيد من البصرة إلى بغداد عندما سمع بعلمه وأكرمه ألف عشرات الكتب التي استفاد منها الجاحظ قبل كتاب مجاز القران الكريم وكتاب التاج وكتاب الموالي وكتاب الحمام وكتاب الحيات وكتاب العقارب وكتاب الزرع وكتاب لصوص العرب (١٧) . ومن أسماء هذه الكتب نستدل على مدى تأثر الجاحظ بهذا العالم الموسوعي من حيث الموضوعات والمصادر أن كتاب الحيوان الذي ألفه الجاحظ يضم أبحاثا عن الحمام والحيات والعقارب والإبل والخيل وهي الموضوعات ذاتها التي عالجها أبو عبيدة وللجاحظ كما لأبي عبيدة كتاب عن الزرع واخرعن اللصوص وأخر عن القران وهذا يظهر مدى إفادة

الجاحظ منه .وثمة موضوع اهتم به كل منهما هو اللحن في اللغة عالجه الجاحظ في كتاب البيان والتبيين وصنف فيه أبو عبيدة كتاب ما تلحن به العامة (١٨) .

أما الأصمعي هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب الباهلي (١٢١ – ٢١٦ هـ) فقد كان كأبي عبيدة أماما في الأخبار والنوادر وكان انشد منه بالشعر واعلم منه بالنحو وكان أستاذا للجاحظ الذي اتصل به واخذ عنه الأشعار والأخبار والنوادر والمعارف الطبيعية عن الحيوانات وقد روى عنه أكثر من مائة مرة في كتاب الحيوان وحده ولقد وضع الأصمعي عشرات الكتب عن الحيوان واللغة والشعر والنوادر أفاد منها الجاحظ وضمن الكثير منها صفحات كتبه من تلك الكتب كتاب خلق الفرس وكتاب الخيل وكتاب الأمل وكتاب الشفاء وكتاب الألفاظ وكتاب النوادر وكتاب أصول الكلام وكتاب نوادر العرب (١٩) . وإذا كانت كتب الأصمعي عن الحيوانات تهتم بالناحية اللغوية كما يتضح من خبره مع أبي عبيده في مجلس الرشيد بصدد كتاب الخيل وتسميته أعضاء هذا الحيوان وإنشاد الأشعار التي قيلت في ذلك (٢٠) . فان الجاحظ مدين للأصمعي بهذه الأشعار التي لا تحصى والتي ضمنها كتبه المختلفة وكذلك استقى من كتب أستاذه أو أستاذه شفاها العديد من النوادر والاشتقاقات اللغوية وغيرها التي نشرها في تضاعيف مؤلفاته ولاسيما كتاب الحيوان والبيان والتبيين .

وأفاد الجاحظ أيضا من علم أخر من أعلام اللغة والرواية هو ابن الأعرابي محمد بن زياد مولى بني هاشم في الكوفة (١٥٠ – ٢٣١ هـ) وقد كان له حلقة يحضرها خلق كثير من المستفيدين أملى عليهم أحمالا من الكتب وكان يزعم ا ن أبا عبيدة والأصمعي لا يحسنان شيئا ومن تصانيفه كتاب النوادر وكتاب صفة الخيل وكتاب صفة الزرع وكتاب الخيل وكتاب معاني الشعر وكتاب الألفاظ وكتاب الذباب وهذه كتب تعالج موضوعات عالجها الجاحظ أيضا في كتبه اجتمع به الجاحظ وسمع منه وروى عنه عشرات المرات(٢١) .

غير أن الجاحظ كان معجبا بخلف الأحمر (١٨٠ هـ) مولى أبي بردة وأستاذ الأصمعي وقد اشتهر خلف برواية الشعر ونحلة هذا الإعجاب يستفاد من كلامه حيث يقول : وقد جلست إلى أبي عبيدة والأصمعي ويحيى بن نجيم وأبي مالك وعمرو بن كركرة مع من جالست من رواة البغداديين فما رأيت أحدا منهم قصد إلى شعر في النسيب فانشده وكان خلف يجمع ذلك كله (٢٢). لم يرو الجاحظ له كثيرا ومعظم ما رواه عنه على لسان الأصمعي قال : الأصمعي قال خلف الأحمر مما يدل على انه لم يتصل به طويلا وهو يشير إلى أنهم ولدوا على لسانه كثيرا من الأشعار (٢٣) .

واخذ الجاحظ أيضا عن أبي عمرو الشيباني (٩٦ – ٢٠٦ هـ) الكوفي وكان من أئمة اللغة والشعر والحديث وكان على عكس خلف الأحمر ثقة . وقد وضع عدة كتب أهمها كتاب الخيل وكتاب النوادر وكتاب الإبل وكتاب خلق الإنسان وكتاب اللغة (٢٤) .

ومن المتكلمين الذين اثروا في الجاحظ أبو الهذيل العلاف (١٣١ – ٢٣٥ هـ) جعله ابن المرتضى رأس الطبقة السادسة من المعتزلة وهو بصري المولد و المنشأ ولكنه قصد بغداد واتصل بالخلفاء وحظي لديهم يبدو أن الجاحظ غير معجب بابي الهذيل العلاف ولذا ناقضه في معظم أرائه حول الاستطاعة والتكليف والخبر وخلق القران وكثيرا ما كان يعرض به وينحاز إلى جانب النظام في جدلهما فيتهمه بالمراوغة وإيثار الشك على اليقين (٢٥)حيث يقول ((وقيل لأبي الهذيل : انك أذا راوغت واعتللت – وأنت تكلم النظام – فأحسن حالاتك أن يشك الناس فيك وفيه قال : خمسون شكا خير من يقين واحد)) (٢٦) .

أما النظام (١٦٠ – ٢٣١ هـ) هو أبو اسحق إبراهيم بن سيار النظام فهو أستاذه وصاحبه مدة طويلة وأعجب به واخذ عنه الكلام بصري المولد النشأة مثله انتقل إلى عاصمة الخلافة واتصل بالخلفاء ولقي الحفاوة منهم تأثر في هشام بن الحكم الذي خالطه وبابي الهذيل العلاف الذي تتلمذ له (٢٧) .

وقد أفاد الجاحظ من النظام كثيرا في أبحاثه الطبيعية وأسلوبه الجدلي ورافقه مدة طويلة من الزمن ويحدثنا أنه ذهب معه إلى مكان من الأمكنة أو التقاه في مجلس من المجالس أو ناظره في قضية من القضايا ((مضيت إنا و أبو اسحق النظام وعمرو بن نهيوي نريد الحديث في الجبان و لنتناظر في شيء من الكلام)) (٢٨) . ومع ذلك لم ينج النظام من نقد تلميذه فنراه يرميه بسوء الظن والقياس على العارض والخاطر والسابق الذي لا يوثق به مع اعترافه بصدقه وبابتعاد عن الزلل (٢٩) .

وبشر بن المعتمر الهلالي (٢٢٦ هـ) معتزلي من الطبقة السادسة ورئيس معتزلة بغداد كوفي الأصل والمنشأ ولكنه قصد بغداد وأقام فيها وكان شاعرا غزير المادة وله قصيدة تقع في أربعين ألف بيت رد فيها على جميع المخالفين وكان زاهدا عابدا داعيا إلى الله تعالى (٣٠) . وذكر الجاحظ نقلا عن مويس بن عمران أن بشر بن المعتمر كان خاصا بالفضل ابن يحيى وكان يجلس إلى مائدته وقد حظي عنده (٣١) .

وأما ثمامة بن اشرس النميري (٢١٣ هـ) زعيم المعتزلة وشيخ الطبقة السابعة اي طبقة الجاحظ نشأ كالجاحظ في البصرة وتتلمذ على ابي الهذيل العلاف ثم قصد إلى الاتصال بالخلفاء ((ليتوصل بذلك إلى معونة أهل الدين)) على حد تعبير ابن المرتضى ويقصد بهم المعتزلة وأول الخلفاء الذين اتصل بهم هارون الرشيد وقصة اتصاله به تدل على حنكته واتجاهه إلى خدمة عقيدته الاعتزالية عن سبيل السياسة والتقرب من الخلفاء ((قال القاضي عن أبي الحسن في كتاب المشايخ في سبب اتصال ثمامة بالخلفاء أن محمد بن سليمان قطع يدي عيسى الطبري وكان زاهدا متكلما من عباد الله الصالحين فلما بلغ ثمامة قال : قتلني الله أن لم اقتله وكان ثمامة قد تفرد بالعبادة فاتصل بالرشيد وتمكن منه لعلمه وفضل أدبه إلى أن عاد له في طريق مكة فكان يملأ أذنيه علما وأدبا إلى أن حج معه وحوله بتدبيره إلى طريق البصرة في منصرفه وهجم به على سلاح لمحمد بن سليمان فكان من الرشيد ما كان)) (٣٢) .

ولقد توطدت صلته برجل من المرموقين في المجتمع ونعني ثمامة بن أشرس كان بحق شيخا من شيوخه اخذ منه وأعجبته بلاغته (٣٣) .وقد حكي عنه في البخلاء ما يوضح قدرته على الجدل (٣٤) . وذكر أدبه وحسن إفهامه وعنايته بأسلوبه حتى انه يقول فيه ((وما علمت انه كان في زمانه قروي ولا بلدي بلغ من حسن الإفهام مع قلة عدد الحروف ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلغه)) (٣٥) . فكان واسع النفوذ قوي الحجة عظيم السلطان وعلا شأن ثمامة أيام المأمون ويظن بعض الباحثين أن الجاحظ كتب كتابه عن أمامه معاوية دفاعا عن رأي ثمامة و محاجة عن صنيع الخليفة وتسفيها لرأي النابتة الذين أثارتهم استجابة المأمون للمعتزلة وركوب هذا المركب في لعن بعض الصحابة (٣٦) .

وهشام بن الحكم (١٩٩ هـ) متكلم شيعي كبير معاصر للجاحظ ولد في الكوفة ونشأ في واسط وانتقل إلى بغداد واتصل بالأمام جعفر الصادق (عليه السلام) وابنه الأمام موسى الكاظم(عليه السلام) ويحيى بن خالد البرمكي توفى مستترا في الكوفة سنة ١٩٩ هـ على الأرجح وترك كتبا كثيرة منها كتاب الإمامة وكتاب الدلالات على حدوث الأشياء وكتاب الرد على أصحاب الاثنين وكتاب الرد على المعتزلة وكتاب المعرفة وكتاب في الجبر والقدر وكتاب التوحيد وكتاب الرد على ارسطاطاليس في التوحيد وكتاب الرد على شيطان الطاق (٣٧) . لا ندري أذا كان الجاحظ قد اجتمع بهشام بن الحكم أو التقاه ولكن الثابت هو انه سمع به واطلع على أرائه فحكي عه في بعض كتبه انه كان يزعم أن الله جل وعز أنما يعلم ما تحت الثرى بالشعاع المتصل منه الذاهب في عمق الأرض ولولا ملامسته لما وراء ما هناك لما درى ما هنالك (٣٨) . يفهم من هذا النص الذي أسنده الأشعري إلى الجاحظ أن أبا عثمان يأخذ على هشام بن الحكم رأيه في كيفية علم الله وينكر عليه القول إنه يعلم ما تحت الأرض بواسطة شعاع يمتد منه وينفذ إلى أعماق الأرض .

وضرار بن عمرو صاحب فرقة الضرارية إحدى فرق الجبرية تتلمذ لواصل بن عطاء وعاصر احمد بن حنبل والجاحظ والنظام تقول الجبرية إن جميع أفعال الإنسان من صنع الله وانه ليس للعبد فعل ولا قدرة على الفعل أوالاختيار ويعد الجهم بن صفوان (١٢٥ هـ) مؤسس هذه الفرقة ولكن الجاحظ يعد عبدالله بن الحسن بن الحسن (١٤٥ هـ) معاصر هشام ابن عبد الملك أعظم الناس قولا بالجبر (٣٩) .

والكندي (ت ٢٥٦ هـ / ٨٧٣ م) يعقوب ابن اسحق الكندي لقب (بفيلسوف العرب) لأنه كان أول فيلسوف عربي الأصل ولد في الكوفة اذ كان أبوه واليا من قبل المهدي والرشيد ثم انتقل إلى البصرة اذ تلقى ثقافته واستقر أخيرا في بغداد اذ انصرف إلى التأليف فخلف مئات الكتب والرسائل في الفلسفة وعلم الكلام والتنجيم والكيمياء وغيرها (٤٠) . واتصل بالمأمون والمعتصم والواثق وحظي عندهم .

عرفه الجاحظ وتحدث عنه في كتاب البخلاء مركزا على صفة البخل فيه كما إلف كتابا فيه عنوانه ((فرط جهل يعقوب بن اسحق الكندي)) ضاع ولكن يستدل من عنوانه تهكم الجاحظ منه وعدم ثقته بعلمه

وربما عزونا موقف الجاحظ منه إلى التباين بين أراء الرجلين في عدد من المسائل الفلسفية فالكندي يذهب إلى أن للكواكب نفوسا وعقولا والجاحظ لا يقبل التسليم بهذا الرأي وكان الكندي شديد التأثر بالفلسفة اليونانية والاعتماد عليها والجاحظ يقف موقفا حذرا منها ويفهم من كلام الجاحظ عن الكندي انه كان شديد البخل ومن نوادر بخله طلبه من الجيران الطبخ لامرأته الوحمى لئلا تسقط وعدم عرضه الغداء على جاره وقد دخل عليه وهو يأكل مع ضيف عنده ونهيه عياله وأصحابه عن شراء باكورات الرطب والفاكهة لأنها تكون غالية الثمن (٤١) .

اتصاله برجال السياسة :

ولكن هذا المجد الأدبي الذي أتاحته بغداد للجاحظ إنما يعيبنا في درسه وتتبع الأسباب التي أمدت شخصيته الأدبية من حيث انه كان من العوامل التي ملأت قلبه ثقة بنفسه وطمأنينة إلى مكانه وسددته في سبيله فمضى فيها بقدم ثابتة إما اكبر ما أتاحته بغداد له فهو ما جلت لعينيه الثاقبتين المتطلعتين من ذلك العالم الجديد المعقد ابلغ التعقيد المضطرب اعنف الاضطراب تعبث به الأهواء المختلفة وتتنازعه العوامل المتباينة وتعصف به التيارات التي تهب عليه من شتى الاتجاهات وقد كانت بغداد في هذه الفترة خاصة في أعقاب فتنة الأمين والمأمون تمثل الاضطراب وفوضى الآراء والأهواء والحياة المرددة بين شتى المثل اصدق تمثيل وذلك في حقيقة الأمر من خير ما يثير فن الفنان وأدب الأديب وروح التأمل في العالم الموهوب وبذلك أتيح لحيوية الجاحظ العقلية ونزعته الفنية مادة جديدة خصبة (٤٢) .

لقد دفع هذا الأمر الخليفة المأمون أن يطلب من الفقهاء أن يؤلفوا في مباحث الإمامة وان يرفعوا إليه كتاباتهم لينظر فيها وكان ممن خف لإجابة هذا الطلب الجاحظ (٤٣) .ويبدو أن كتابات الجاحظ عن الإمامة قد تركت صدى حسناً في نفس الخليفة المأمون وقد عبر الجاحظ عن ذلك بقوله : ((ولما قرأ المأمون كتبي في الإمامة فوجدها على ما أمر به وصرت إليه وقد كان أمر اليزيدي بالنظر فيها ليخبره عنها قال لي : قد كان بعض من يرتضي عقله ويصدق خبره خبرنا عن هذه الكتب بأحكام الصنعة وكثرة الفائدة فقلنا له : قد تربى الصفة على العيان فلما رايتها رأيت العيان قد أربى على الصفة فلما فليتها أربى الفلى على العيان كما أربى العيان على الصفة وهذا كتاب لا يحتاج إلى حضور صاحبه ولا يفتقر إلى المحتجين عنه وقد جمع استقصاء المعاني واستيفاء جميع الحقوق مع اللفظ الجزل والمخرج السهل فهو سوقي ملوكي وعامي خاصي)) (٤٤) . وبذلك اتصل الجاحظ فضلاً عن الأدباء والعلماء في بغداد برجال السياسة في عصره (٤٥) .ومن ثم رأينا الجاحظ ينشط في معالجة مسائل الإمامة التي اشتجرت حولها الأهواء والعقول في الكوفة والبصرة وكانت موضع اهتمام الخليفة المأمون خاصة (٤٦)

إن الجاحظ بعد أن إلف كتابا عن الإمامة خاضعاً بذلك لتوجيه أولياء الأمر قصد الخليفة المأمون الذي هنأه على عمله وانه كان سبباً في حمل الجاحظ على المكث في بغداد وقد جرى ذلك بعد دخول الخليفة

المأمون بغداد سنة (٢١٠ هـ) ويعد تأليف كتاب عن مسألة شائكة كشرعية الخلافة من الأدوار الفاصلة في حياة الجاحظ كما أنه الثناء الذي ناله نوع عمله قد حدد مصيره الأدبي (٤٧) .

إن أول مؤلفات الجاحظ الذي نشير إليه – وهي شيء له دلالته – هو كتاب (الإمامة) الذي إلفه بإشارة من المأمون وكانت موافقة هذا عليه بداية الطريق التي اهتدى إليها الجاحظ بعد أن حصل في مسقط رأسه على معلومات واسعة متنوعة فهو لم يعمد كمعاصريه إلى التخصص في علم واحد منتقى بل عمل على العكس بدافع من نزعة اصطفائية جيدة إلى الاهتمام بأنواع المعرفة التي من شأنها أثارة تطلع القراء العرب الذين بلغوا من انفتاح الذهن حداً يحملهم على التطلع إلى ما وراء افقهم المحدود وهكذا نشأ الشكل ألجاحظي الأدبي الذي بعد أن عرف ازدهار هوى إلى درك المعلمات العملية الشعبية (٤٨) . ولقد كان زملاؤه وأساتذته من المعتزلة يعرفون فضله وفي مقدمتهم بشر بن المعتمر وثمامه بن اشرس حتى إذا شغل المأمون بعقيدة الإمامة ومستحقيها من العباسيين بعد رجوعه من مرو إلى بغداد أشار عليه ثمامه بان يطلب إلى الجاحظ الكتابة في هذا الموضوع وكتب الجاحظ وأعجب المأمون إعجابا لا حد له بما كتب (٤٩) وكان ذلك فاتحة عهد جديد للجاحظ لا لأنه تحول من البصرة إلى بغداد ولكن لأنه أصبح كاتباً رسمياً للدولة ونظن ظناً انه أصبح له راتب منذ هذا التاريخ (٥٠) .

يظهر مما تقدم إن الخليفة المأمون قد وجد في كتابات الجاحظ عن الإمامة ما يلتقي مع قناعته ويساعده في تقوية حجة الخلافة العباسية في مواجهة خصومها لذا فقد أمر بإحضاره من البصرة ليكون قريباً معه وكان المأمون مقيماً آنذاك في مرو وبذلك انتقلت شخصية الجاحظ من البصرة إلى ما وراء العراق ثم اقتحمت ارفع بيئة ثم أذن لها على الخليفة نفسه فنالت الحظوة عنده (٥١) . ويبدو أن ذلك لم يتحقق بسرعة وإنما سار ببطء وتطور مع تطور موقف الخليفة من المعتزلة .

ولم تكن هذه الكتب وحدها التي أتاحت للجاحظ أن يتصل بتلك البيئات وان يقرب من السلطان بل كان إلى جانبها عامل جديد من أهم العوامل هو روح ذلك العصر واتجاهه منذ اخذ المأمون مكانه في قصر الخلافة ببغداد وعندما استقر الأمر للمأمون فتحولت هذه السياسة تحولاً ظاهراً (٥٢) .

واستطاع بهذه الرسائل والكتب إن يحقق ما كان يطمح إليه من مكانة أدبية فاقتحم ارفع بيئة في مجتمعه واخذ مكانا في مجلس الخليفة المأمون ودعي للحضور في المناسبات الرسمية شأن الشخصيات البارزة كشهوده جلوس المأمون لعمه إبراهيم بن المهدي بعد أن ظفر به دعاه إليه ثمامة ابن أشرس (٥٣) . كذلك كان في حاشية المأمون في إحدى غزواته كما تشبه بذلك كتاباته (٥٤).

لقد وجد المأمون في أصول المعتزلة الخمسة وهي التوحيد والعدل والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فضلاً عن نزوعهم نحو تحكيم العقل في شتى الأمور ما يلتقي مع طريقته في التفكير (٥٥) .

كما أن مواقف قادة المعتزلة وجلهم كانوا من أهل البصرة كانت بعيدة عن الصراعات السياسية الحادة التي كانت تدور في بغداد وخراسان وغيرها من الأقاليم لذا فقد فضل الخليفة المأمون التعاون معهم والاعتماد عليهم في أدارة الدولة حتى غدا الاعتزال مذهبا رسميا للخلافة العباسية وكان من ابرز رجال المعتزلة الذين اعتمد عليهم ثمامة بن أشرس فقد ذكر أن منزلة ثمامة عند المأمون ((فوق منزلة الوزراء فلقد عرض عليه أن يلي الوزارة بعد موت الفضل بن سهل فأباها ولكنه كان مع هذا صاحب الرأي فيها إذ كان صاحب الرأي في اختيار الوزير وترشيحه فهو الذي رشح للوزارة احمد بن خالد الأحول ثم رشح بعده يحيى بن أكثم وكذلك كان صاحب القول في توجيه سياسة الدولة)) (٥٦) .

وفي أوائل خلافة المأمون وبعد أن توثقت الصلة بين الجاحظ والخليفة كان المأمون يريد تكريم أبي عثمان وإسناد رياسة ديوان الرسائل إليه وكانت رياسته أهم منصب أدبي في الخلافة لان عمل الديوان من أهم ما يدور عليه محور السياسة العامة للخلافة ولم يكن يتصدر فيه إلا ذوو الأدب والكفاية والموهبة و نباهة الذكر والحذق بشتى ألوان الثقافات أصيلة أو مترجمة وإلا أصحاب السياسة والتدبير والتفوق في صنوف البلاغات وكان إبراهيم بن العباس الصولى (٢٤٣ هـ) من رؤساء الديوان في أوائل عهد المأمون ولشهرة أبي عثمان وذيوع اسمه وان أئمة المعتزلة من مستشاري الخليفة كانوا يثنون عليه ويمدحونه عنده ولصلة أبي عثمان بالخليفة اخذ المأمون يكلفه بان يخلف الصولى في الديوان كلما تغيب في شأن من الشئون العامة أو الخاصة ثم اصدر المامؤن أمره بإسناد هذا المنصب إلى الجاحظ فصدع على كره منه بالأمر ولكن حفائظ الكتاب احنقتهم وجلهم من عناصر فارسية وهم يرون أن مثل هذا المنصب لا يتولاه إلا واحد منهم فأثاروا جواً خانقا ظهر دخانه وتولوا الجاحظ بالغمز والدس وكان سهل بن هارون يقول : إن ثبت الجاحظ في هذا الديوان أفل نجم الكتاب واستعفي الجاحظ من منصبه معتذراً للخليفة بما وسعه من أعذار فأعفاه منه بعد ثلاثة أيام من عمله فيه (٥٧) .

وفي عهد المأمون أيضا توثقت الصلة بين الجاحظ والأديب والشاعر – المقل المبدع – إبراهيم بن العباس ألصولي إثناء توليه ديوان الرسائل في عهد المأمون وكان الجاحظ يخلفه في إثناء تغيبه في شأن من شؤونه حتى لقب الجاحظ بخليفة ألصولي في ديوان الرسائل وقد أهدى الجاحظ ألصولي كتاب ((الزرع والنخل والزيتون والاعناب)) وأجازه عليه خمسة ألاف دينار غير أن ذلك الإهداء اثأر حفيظة محمد بن عبد الملك الزيات وأدى بعد ذلك بالجاحظ إلى أن يوجه لابن الزيات رسالته الموسومة في الجد والهزل(٥٨) .

ويروى عن الجاحظ أثناء توليه ديوان الرسائل في عهد نيابته عن الصولى أن أبا العيناء (١٩١ – ٢٨٣ هـ) دخل عليه في أمرته فلما أراد الانصراف أحب الجاحظ أن يداعبه فأسر إلى حاجبه انه إذا وصل أبو العيناء إلى الدهليز لا يدعه يخرج ولا يمكنه من الرجوع إليه فلما خرج أبو العيناء حجزه الحاجب وضيق

عليه فنأدى بأعلى صوته يا أبا عثمان قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك (٥٩) . فيبدو كيف انه يميل إلى الهزل حتى في دواوين الخلفاء ولكنه لم يخلق لهذه الدواوين فقد خرج الجاحظ من ديوان الرسائل وفي نفسه عاملان عامل الهزل وعامل الطموح اذ فلقد كان الجاحظ على نحو ما صوره لنا الفتح بن خاقان في رسالته إليه صاحب عظمة في نفسه يثق بعلمه وبمعرفته وان رجلاً قد شعر من نفسه بهذه العظمة ليصعب عليه أن يكون في ديوان مسلوب الإرادة فيه يعمل لرجل ربما كان يعتقد انه ارفع منهم منزلة وأعلى شأناً فما وسعه ألا ترك الديوان حتى يتبسط في أفق أعلى ويتفسح في جو أمد ليس بينه وبين شيء من مرادات نفسه حاجز يحجز أو حائل يحول يوفر على هذه النفس كرامة قد لا يستطيع أن يوفرها وهو راسف في قيد السلطان ويتمتع بقراءة كتب كانت غذاء روحه مدة قرن خرج الجاحظ من ديوان الخليفة لأنه صاحب اعتماد على نفسه يحب إن يعيش مطلقاً من كل قيد فلم يخلق لأمثال هذه الدواوين التي لا تخلو من القيد وخاصة أن الجاحظ رجل مطبوع على الهزأ والسخرية ومن كان هذا شأنه قد يتعذر عليه إن يحدو نفسه تبعثه على الهزل وان ينقاد وطبعه يدفعه إلى الانطلاق فما أحب أن يقيد نفسه في ذرا الدواوين فان رجلاً قد خبر عمل السلطان (٦٠) . وكان رأيه في هذا العمل على الوجه الأتي ((وليس هكذا من لابس السلطان بنفسه وقاربه بخدمته فان أولئك لباسهم الذلة وشعارهم الملق وقلوبهم ممن هم لم خول مملؤة قد لبسها الرعب وإلفها الذل وصحبها ترقب الاحتياج فهم مع هذا في تكدير وتنغيص خوفاً من سطوة الرئيس وتنكيل الصاحب و تغيير الدول واعتراض حلول المحن فان هي حلت وكثيراً ما تحل فناهيك بهم)) (٦١) .

ولهذا لم يحتمل الجاحظ هذه الوظيفة أكثر من ثلاثة أيام لعدة أسباب أهمها روح الدعابة التي فيه والتي لا تتلاءم وما تقتضيه الوظيفة من رصانة وجدية وكذلك رتابة العمل الإداري الذي لا ينسجم ونفسية الجاحظ وأخيرا لا أخرا حسد الحاسدين ومكائد الحاشية وجو القصور المشحون بالتنافس والبغضاء وفي إي حال فان عدم تلاؤم الجاحظ مع جو ديوان رسائل الخليفة كان في مصلحة الأدب العربي والكتاب العربي وكذلك في مصلحة الكتاب الذين عاصروه بأسلوبهم المحنط (٦٢).

لقد كان الجاحظ صريحا ورجل في صراحته لا يصلح لخدمة الحكام وهذه حادثة يرويها هو عن شخص توسل به إلى صديق سألني بعضهم كتابا بالوصية إلى بعض أصحابي فكتبت له رقعة وختمتها فلما خرج الرجل من عندي فضها فإذا فيها ((كتابي إليك مع من اعرفه ولا أوجب حقه فان قضيت حاجته لم أحمدك وان رددته لم أذمك)) فرجع الرجل إلي فقلت له : كأنك فضضت الورقة ؟ قال : نعم فقلت : لا يضيرك ما فيها فانه علامة لي إذا أردت العناية بشخص فقال : قطع الله يديك ورجليك ولعنك فقلت : ما هذا ؟ فقال : هذه علامة لي إذا أردت إن اشكر شخصا (٦٣) . وربما كان قبحه الذي عرف به هو السبب الحقيقي في انه وجد وظيفة ديوان الرسائل لا تلائمه (٦٤).

إن مجد الجاحظ الأدبي مجد خالص من شوائب العصبية وتمويه السياسة وهو مجد بوأه صرحه الخالد كفايته الممتازة وثقافته النادرة وأثاره الفكرية والأدبية الممتعة فقد عاش الجاحظ محروما من كل شيء إلا من مجد الأدب وشهرة العلم ولم تبوئه مواهبه مقاعد الوزارة التي كان يصعد إليها في عهده كثير من الكتاب ولم تنله كفايته الأدبية منزلة في ديوان رسائل الدولة ولما صدر فيه أيام المأمون لم يبق فيه غير ثلاثة أيام استقال بعدها منه لتعرضه لخصومات كثيرة حذراً من إن يأفل به نجم الكتاب كما كان يرى سهل بن هارون وهذا الإخفاق في الحياة العامة الذي منى به الجاحظ في عصره كان مما نعاه ابن شهيد عليه في رسالته ((الزوابع والتوابع)) ومما جعله يخطئ من يذهب الى تقديم الجاحظ على سهل بن هارون وان كان تحكيم التوفيق في الحياة في وزن الشخصيات وتقديرها ضلالا وغبنا (٦٥) . ورأى ابن شهيد من قبل في سر هذا الإخفاق مع هذه الشهرة البعيدة والمجد الذائع أن حرمان الجاحظ من شرف المنزلة بشرف الصنعة مع تقدم ابن الزيات وإبراهيم بن العباس إما لأنه كان مقصراً في الكتاب وجميع أدواتها أو لأنه كان ساقط الهمة أو لان دمامته وإفراط جحوظ عينيه فقد به عن الغايات المنشودة ورأى أن نقص أدوات الكتابة عند الجاحظ شيء قد يكون غريبا ولذلك اخذ يذهب إلى ا ن أول أدوات الكتابة العقل وقد تجد عالما غير عاقل إما أن الجاحظ ينقصه أداة – أيا كانت هذه الأداة – من أدوات الكتابة فذلك ما ترده الحقيقة المقررة فعقل الجاحظ وفنه الأدبي وطبعه الموهوب أعظم من أن يتطرق إليه فيها شك وريب وإما إن الجاحظ كان قريب الأمل غير بعيد الطموح لا يتطلع إلى مجد ينشده أو جاه سلطان يناله فذلك بعيد عن الجاحظ وحياته وروحه الوثاب الطموح وإما إن دمامة الجاحظ كان لها اثر في هذا الإخفاق فذلك أجد ما نراه من أسبابه الكثيرة حتى انه ذكر للمتوكل لتأديب بعض ولده فلما رآه استبشع منظره صرفه وأمر له بعشرة ألاف درهم (٦٦) .

ويظهر انه ترك عاصمة الخلافة في أعقاب استعفائه من ديوان الرسائل ورجع إلى البصرة لفترة من الزمن (٦٧) . والظاهر أن ميله إلى التحرر من ربقة النظم الديوانية كان اغلب عليه من الوقوع تحت طوائلها وفي الحقيقة أن الجاحظ كان طلق عنان العقل حاد شبا القلم وكان أشبه الناس بكتاب الصحف لهذا العهد ومن أعلى طبقة في هذا النوع وقد بلغ به الأمر في تحقير الوظائف والموظفين (٦٨) . ولام الكثيرون من الأدباء أبا عثمان لاستعفائه من ديوان الرسائل وقال بعضهم :" لم أر اغبن من الجاحظ لنفسه وان كان أوحد البلاغة في عصره فما باله لم يلتمس شرف المنزلة بشرف الصنعة وقد رأى ابن الزيات الصولى بلغا فيها ما بلغا وهو يلتمس فوائدهما والجاه يهما (٦٩) .

لقد بلغت الخلافة في عهد المأمون غاية نفوذها وسلطانها وأقصى ما وصلت إليه من رخاء وحضارة وأصبحت بغداد مثابة العلماء ومقصد الأدباء وكان المأمون محبا للعلم مكرما للأدباء ذا بصر بمختلف فروع الثقافة وقد توج المأمون الحركة العقلية والفكرية في عصره بترجمة كل ما يفيد من تراث الأمم

وشجع المترجمين على نقل ثقافات الفرس واليونان والرومان والهند إلى العربية وقد تتلمذ على أيدي شيوخ المعتزلة في عصره وتأثر فيهم وكان طبعه ينزع به إلى العلوم والجدل فقرب علماء الكلام والفلسفة من المعتزلة إليه وذاعت في عصره محنة القول(بخلق القران) واستمرت حتى وفاة المأمون سنة (٢١٨ هـ) (٧٠) .

وعاصر الجاحظ محنة القول بخلق القران واشترك في تفاصيلها ودافع عن المأمون دفاعاً مجيداً في سياسته في هذه المشكلة (٧١) .

إن الجاحظ واع وحذر من قضية مهمة في حياة المعتزلة وحياته هو تلك هي علاقة المعتزلة بالخلافة أو علاقة العلماء بالسلطان فليأخذ العالم حذره لان دولة العلم تدول كما تدول دولة الملك ومن يجعل سلطان العلم سلطان ملك فقد خسر : ((وعلى العلماء أن يخافوا دولة العلم كما يخاف الملوك دول الملك)) كما قال أبو عثمان هذه المقولة الخطيرة ذات إبعاد مهمة في حياة الجاحظ في تفكيره وفي علاقته بالمعتزلة وبالخلافة العباسية لقد تمتع أبو عثمان بكل ما حظيت به المعتزلة من مجد وأهمية عند الخلافة العباسية ولم يكن معتزلياَ فحسب بل هو الناطق المتكلم الأديب الذي سجل كل ما كان للاعتزال بحرارة وحماسة وظل مؤمنا بالاعتزال قولا وفعلا (٧٢) .

لقد كان الجاحظ يعي أيضا انه يقدم خدمة خاصة للخلافة العباسية سواء في الدفاع عن المبادئ التي التزم بها وهي مبادئ اعتزالية فترة من الزمن أو في الدفاع عن حق العباسيين عامة في الخلافة أمام خصومهم من الأمويين وسواهم والجاحظ صريح في ذلك إذ يقول في إحدى رسائله الموجهة إلى ذوي الشأن في الخلافة العباسية : ((وما كان حقي وانأ واضع هذين الكتابين في خلق القران وهو المعنى الذي يكبره أمير المؤمنين ويعزه وفي فضل ما بين بني هاشم وعبد شمس ومخزوم إلا إن اقعد فوق السماكين الأعزل الرامح بل فوق العيوق أو اتجر في الكبريت الأحمر وأقود العنقاء بزمامها إلى الملك الأكبر)) (٧٣) .وهذا ينقلنا إلى قضية ذات شأن كبير في حياة الجاحظ وفي فكره هي قضية إن الجاحظ لم يكن ناطقا باسم المعتزلة فحسب بل كان ناطقا باسم الخلافة العباسية وانه كتب باسم الخلافة رسائل وكتبا وكان له مشاهرة مخصصة من الخليفة نفسه حتى بعد تولي المتوكل الخلافة وهو ممن لا يعد من الميالين إلى الاعتزال بل لقد كان أبو عثمان يرى إن استصلاح الكتب أيسر شأنا واقرب متناولا من استصلاح الأراضي والضياع (٧٤) .

والمعروف عن الجاحظ انه كان معتزلياً في أرائه العقائدية وعباسياً في ميوله السياسية اذ كتب العديد من الرسائل مؤيداً للمعتزلة والعباسيين (٧٥) . ولقد انقطع الجاحظ إلى خدمة بني العباس فسخر قلمه للدفاع عن خلافتهم والاحتجاج لها والرد على خصومهم والمناوئين لهم وكأنما أضحى الجاحظ بذلك احد كتاب الدولة المنافحين عن وجهة نظرها الرسمية . ففي قضية (خلق القران) التي امتحنت بها الدولة الناس

وحملتهم على هذا المذهب وضع الجاحظ - بإشارة من الخليفة – عدداً من رسائله المعبرة عن رأي الخلافة بوجهها ألمعتزلي في هذه المسألة الشائكة كرسالته في ((خلق القران)) (٧٦) . ورسالته في نفي التشبيه (٧٧) . ورسالته في الرد على المشبهة (٧٨) . وتابع الجاحظ هذا النمط من التأليف فكتب في نحو سنة (٢٢٣ هـ – ٨٣٧ م) رسالته الموسومة بالنابتة (٧٩) . وهي محض هجوم سافر على الأمويين وفي سنة (٢٢٥ هـ – ٨٣٩ م) أحرقت الدولة غناماً المرتد بالنار (٨٠) .فانشأ الجاحظ رسالته بصيرة غنام (٨١) . دفاعاً عن وجهة النظر الرسمية وتوسيفاً لما قامت به الدولة . ولما نجمت قضية أهل الذمة في عهد المتوكل طلب الوزير التركي الفتح بن خاقان إلى الجاحظ أن يضع رسالة في الرد على النصارى (٨٢) . وان يعجل بالفراغ منها : لتعرض على الخليفة وتحظى بمباركته (٨٣) . وفي هذه السبيل ترك الجاحظ طائفة من الآثار التي تمجد أهل الدولة وأصحابها الهاشميين من ذلك كتابه فضل هاشم على عبد شمس (٨٤) وكتابه العباسية (٨٥) . وفي جملة الآثار التي وضعها الجاحظ في هذا الباب رسالته في مناقب خلفاء بني العباس (٨٦) .

إن الجاحظ بطبيعته الطلعة قد اتصل بالبيئات البغدادية المختلفة بل لعله استطاع أن يوثق صلته بها وان يستبطن أسرارها وحقائقها ولكنا نقصد ألان إلى ناحية واحدة هي مجالس اللهو والغناء الشائعة في بغداد إذا أبقى لنا من أثار الجاحظ عنها في هذه المرحلة ما لعله يدلنا على موضعه منها وهو قطعة من كتاب له في طبقات المغنين ويعد من الكتب القليلة التي نص فيها على تاريخ وضعها وقد نص فيه على أنه ((وضعه في سنة خمس عشرة ومائتين)) (٨٧) . ولا ريب أن حياة اللهو والغناء في بغداد جعلت تعرض للجاحظ صوراً لم يألفها في البصرة وان كنا لا نشك في انه سمع الكثير من أخبارها وتصور بعض الصور عنها ذلك أن البصرة لم تتح لها الأسباب التي أتيحت للكوفة أولا ثم لبغداد بعد ذلك فجعلت فيهما من الغناء وما يتبعه من ضروب الموسيقى فناً رفيقاً غالباً على الأندية المختلفة (٨٨)

وبعد وفاة المأمون في سنة(٢١٨ هـ)وتولي المعتصم للخلافة استمر الجاحظ في المحافظة على مكانته الرفيعة لان موقف المعتصم من المعتزلة كان استمراراً لموقف سلفه وكذلك كان الأمر في عهد الخليفة الواثق وحتى مجيء المتوكل للخلافة في سنة (٢٣٢ هـ)حيث غير موقفه من المعتزلة ومال إلى رجال الحديث (٨٩) .وان لم يبدل من موقفه من شخص الجاحظ كما سنوضح ذلك لاحقاً وهكذا فقد تمتع الجاحظ لمدة تزيد على الثلاثين سنة بمركز رفيع من الخلافة بسبب تبنيها لمذهب الاعتزال واعتمادها على رجالهم في الإدارة والدعوة .

وعندما تولى المعتصم بن الرشيد عام (٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) عرش الخلافة العباسية في بغداد بعد المأمون ونهج نهج أخيه في تأييد الاعتزال والقول بخلق القران ووقف للعناصر الفارسية ومؤامراتها بالمرصاد ومن ثم كون فرقة عسكرية ضخمة من الأتراك ليقاوم بها نفوذ الفرس والعناصر الفارسية في الدولة ولما كثروا

وكثر ما يقع منهم ضد شعب بغداد من مصادمات بنى لهم مدينة ((سر من رأى)) وأصبحت عاصمة للخلافة (٩٠) .

وتتحول الخلافة إلى سامراء في عهد المعتصم ويتحول معها الجاحظ ويتخذ سامراء دار مقام له وتتوثق الصلة بينه وبين وزير المعتصم ابن الزيات الكاتب والشاعر المشهور وفيها يتعرف على كثير من الأدباء وخاصة أصحاب الفكاهات والنوادر من أمثال أبي العيناء والجماز وغيرهما من المضحكين ندماء الخلفاء وجعلته صلته بابن الزيات يقف في صفه ضد خصمه احمد بن أبي دؤاد قاضي القضاة (٩١) .

نستطيع أن نعتبر هذه المرحلة – اعتبارا مقاربا – من أول عهد المعتصم إلى أخر عهد الواثق وان كنا مع هذا نرى أنها امتداد للمرحلة الأولى في حياة الجاحظ كما كانت كذلك في الحياة العامة إذ كانت سياسة الدولة واتجاهها الديني وشواغلها التي أخذت نفسها بها قائمة على الأصول التي وضعت لها منذ أيام المأمون فالنزعة الاعتزالية وما وراءها من القول (بخلق القران) وامتحان العلماء ومحاربة المذاهب الأخرى في عنف لا هوادة فيه كل ذلك اطراد للخطة التي أختطها المأمون وأصحابه ومثل هذا يقال عن تجرد الدولة للقضاء على النزعات الباطنية المسلحة الممثلة في بابك والمازيار والأفشين فقد جرى الامر فيه في أيام المعتصم على السياسة الموضوعة في عهد المأمون وتنفيذ الوصية ((والخرمية فأغزهم ذا حزامة وصرامة وجلد واكنفه بالأموال والسلاح والجنود من الفرسان والرجالة فان طالت مدتهم فتجرد لهم بمن معك من أنصارك وأوليائك اعمل في ذلك عمل مقدم النية فيه راجيا ثواب الله عليه)) (٩٢) ألي غير ذلك من إيثار الدولة لأهل البصرة بوظائفها والجري في الفقه والقضاء على مذهب البصريين (٩٣) .

وكذلك الأمر في حياة الجاحظ فقد سارت هادئة رخية مطردة في سبيلها من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية حتى ما يكاد يبدو أن شيئا قد تغير إلا أنه كان في بغداد فأصبح في سامرا منذ انتقلت الدولة إليها وقد اتخذ داره في عسكرها في جوار ابن الزيات وإلا أن يكون أحساسة بوطأة السن وتقدم العمر فقد أخذت سنه تتجاوز الستين – فيما نقدر – ولكن روحه المرحة الساخرة وحيويته القوية الدافقة جعلتاه لا يكاد يعبأ بشئ من ذلك وإنا لنراه وهو في حدود السبعين يتحدث عن سنه وما تسببه له في شيء من السخرية والعبث على النحو الذي عرض له في إحدى رسائله إلى محمد بن عبد الملك الزيات فهو لا يشكو ولا يضيق ولا يتبرم كما اخذ يفعل ذلك في المرحلة الأخيرة من حياته أما في هذه المرحلة فقد ذهب إحساسه بتقدم السن في غمرة حيويته من ناحية وتوفيقه من ناحية أخرى (٩٤) .

وقد خلت حياة الجاحظ منذ أوائل هذه المرحلة من بعض الشخصيات التي كانت تملؤها كشخصية أبي إسحاق النظام وصاحبه ووليه ثمامة ابن أشرس وقد انتهت أيام كل منهم – على وجه التقريب – بانتهاء المرحلة الأولى فأما النظام فلسنا ندرى على التحقيق كيف كانت صلة الجاحظ به في العهد الأخير أكان لايزال حفيا به مقبلا عليه أم شغلته الشواغل المختلفة عنه ؟على انه إذا صح هذان البيتان اللذان يرويان عن النظام فيه وهما :

حبـــى لعمـــرو جـــوهر ثابـــت وحبـــــه لى عـــــرض زائـــــل

بـــه جهـــاتى الســـت مشـــغولة وهـــو الى غـــيرى بهـــا مائـــل

فاكبر الظن إنهما يصوران العلاقة بينهما في تلك المرحلة التي جعلت بغداد تتبرج فيها لأبي عثمان وتفتنه وتتقسم قلبه حتى فترحبه له وتراخت صلته به وأما ثمامة فلم يكد ينتهى حتى كان ثمة علاقة جديدة أخذت تتكون وتحل محلها وتملأ جوانب قلب الجاحظ وهي علاقته بمحمد بن عبد الملك الزيات وهذه العلاقة الجديدة إلا تكن من نوع العلاقة الأولى فإنها قريبة منها والفرق بينهما يتمثل في إن ثمامة كان رجلا من رجال المعتزلة أولا ثم من أصحاب السلطان بعد ذلك وإما ابن الزيات فكان السلطان صفته الأولى ثم يجئ الاعتزال في المرتبة الثانية وهذا الفرق يعتبر في الواقع نوعا من التطور الذي جعلت حياة الجاحظ تسير فيه (٩٥) .

وكان مما ساعد على تقوية مركز الجاحظ صداقته العميقة مع محمد ابن عبد الملك الزيات الذي تولى الوزارة في عهد الخليفتين المعتصم والواثق وحتى المتوكل (٩٦) . وربما كان الجاحظ أهم أديب توثقت صلته به ابن الزيات (٩٧) .وكان ابن الزيات ((كاتباً بليغا شاعرا مجيدا)) (٩٨) وقد أهداه الجاحظ العديد من رسائله وكتبه كان أبرزها كتاب الحيوان فأعطاه مقابل ذلك خمسة ألاف دينار (٩٩) . وكان وزير المعتصم محمد ابن عبد الملك الزيات صديقا حميما للجاحظ وهذا الوزير هو الذي قرب احمد بن أبى دؤاد إلى الخليفة ثم حدث بين الرجلين سباق على القربى من الخليفة (١٠٠) .

وبلغ الجاحظ في خلافة المعتصم كل ما كان يطمح إليه من مجد ونفوذ وسلطان إذ قربه ابن الزيات من عرش الخلافة تقريبا شديدا فأصبح أبو عثمان ذا حظوة شديدة عند الخليفة ورجال دولته فهم جميعا يقدرون فضله ويكبرون أدبه ويجلون ما اختص به من المعارف الواسعة ويعجبون به وبإخلاصه للخلافة وبما طبع عليه من لطف المعشر وحسن السمر وطيب النادرة وكانوا يتوقون إلى حديثه ويقدرون بلاغته حق قدرها (١٠١) .

وكان ابن الزيات اشد الناس حبا له وإعجابا به فأثره أبو عثمان بوفاته وإخلاصه حتى كان يحب إن يكون الجاحظ معه يحادثه ويؤاكله وقد بلغ من استئناس محمد ابن عبد الملك الزيات بالجاحظ إن أبا عثمان كان يأكل معه في يوم من الأيام وقال أبو العيناء كان الجاحظ يأكل مع ابن الزيات فجأوا بفالوذج فاثر الوزير الجاحظ بان يأكل معه منه فأسرع أبو عثمان في الأكل حتى نظف ما بين يديه فقال له الوزير :تقشعت سماؤك قبل سماء الناس يا أبا عثمان فرد عليه الجاحظ :لان غيمها كان رقيقا(١,٢)

ويبدو أن بعض الوشاة افسدوا ما بينهما فكتب إليه الجاحظ رسالة مشهورة ولون ثان هو رسائله الاخوانية وهي تموج بطرف فكره وبلاغته فمن ذلك أن صديقه ابن الزيات تلون له وتنكر فترة إذ أحس انشغاله عنه فكتب إليه الجاحظ يستعطفه بالرسالة التالية (١٠٣) .

وكتب إلى محمد ابن عبد الملك يقول : أعاذك الله من سوء الغضب وعصمك من سرف الهوى وصرف ما أعارك من القوة إلى حب الإنصاف ورجح في قلبك إيثار الأناة فقد خفت أيدك الله أن أكون عندك من المنسوبين إلى نزق السفهاء ومجانبة سبل الحكماء وبعد فقد قال عبد الرحمن ابن حسان بن ثابت.

وان امـرأ أمسـى وأصـبح سـالماً مـن النـاس إلا مـا جنـى لسـعيد

وقال الأخر :

ومـن دعـا النـاس إلى ذمـه ذمـوه بـالحق وبالباطـل

فان كنت اجترأت عليك أصلحك الله فلم اجتري إلا لان دوام تغافلك عني شبيه بالإهمال الذي يورث الإغفال والعفو المتتابع يؤمن من المكافأة ولذلك قال عيينة بن حصن بن حذيفة لعثمان رحمه الله : عمر كان خير لي منك رهبني فاتقاني واعطانى فاغنانى فان كنت لا تهب عقابي أيدك الله لخدمة فهبه لأياديك عندي فان النعمة تشفع في النقمة والاتفعل تفعل ذلك لذلك فعد إلى حسن العادة وإلا فافعل ذلك لحسن الأحدوثة والآفات ما أنت أهله من العفو دون ما إنا أهله من استحقاق العقوبة فسبحان من جعلك تعفو عن المتعمد وتتجافى عن عقاب المصر حتى إذا صرت إلى من هفوته ذكر وذنبه نسيان ومن لا يعرف الشكر ألانك والإنعام إلا منك هجمت عليه بالعقوبة واعلم أيدك الله إن شين غضبك على كزين صفحك عنى وان موت ذكرى مع انقطاع سببى منك كحياة ذكرك مع اتصال سببي بك واعلم إن لك فطنة عليم وغفلة كريم والسلام)) (١٠٤)

والرسالة على قصرها تحمل خصائص الجاحظ الأدبية ففيها شعر وخبر وفيها المهارة العقلية على التدليل واستنباط الأفكار فابن الزيات هو الذي طال تغافله عن الجاحظ يشبه التغافل بالإهمال ضرباً من القياس ليصل إلى إغفاله له ويسوق دليلاً ملزماً فهو دائماً يعفو عنه والعفو المتتابع يجعل المعفو عنه امناً من المجازاة وان يصاب بسوء ثم مضى يلزمه الرضا عنه بمنازل متعددة منه اما لمنزلة حرمته منه واما لما تتابع عليه من أياديه والنعمة تشفع في النقمة برهاناً ساطعاً وإما لحسن العادة وإما لحسن الأحدوثة وإما لأنه أهل للعفو عن المستحقين للعقوبة من أمثاله ويتلطف له قائلاً انه أول ذنب لي وليس ذنبي إلا النسيان وهل عرفت الشكر إلا لك ولا الإنعام الامنك فماذا يملك ابن الزيات ازاء هذا البيان الرائع الا ان يعود الى الرضا التام وتتقابل عبارات الرسالة في صفوف وكأن كل كلمة في عبارة سابقة تجذب قرينتها في العبارة اللاحقة دون محاولة لسجع أو نغم متماثل في نهايات الجمل المتلاحقة وهكذا الجاحظ دائماً يكتفي بجمال التوازن العام في أسلوبه المزدوج وانظر إلى التوازن الدقيق في العبارات الأخيرة من الرسالة ((فشين غضبك)) توازن ((زين صفحك)) و ((مت ذكري مع انقطاع سببي)) توازن ((حياة ذكري مع اتصال سببي)) وتكامل مثل هذا التوازن في أسلوبه يتيح له وفرة في النغم مع ما يتسم به أسلوبه عامة من رصانة وجزالة ونصاعة (١٠٥) .

ومن كتاب للجاحظ إلى ابن الزيات : لا والله ما عالج الناس داء قط أدوى من الغيظ ولا رأيت شيئا هو أنفذ من شماتة الأعداء ولا أعلم بابا اجمع لخصال المكروه من الذل ولكن المظلوم ما دام يجدمن يرجوه والمبتلى ما دام يجد من يرثى له فهو على سبب درك وان تطاولت به الأيام فكم من كربة فادحة وضيقة مصمتة قد فتحت إقفالها وفككت أغلالها ومهما قصرت فيه فلم أقصر في المعرفة بفضلك وفي حسن النية بيني وبينك لا مشتت الهوى ولا مقسم الأمل على تقصير قد احتملته وتفريط قد اغتفرته ولعل ذلك إن يكون من ديون إلا دلال وجرائم الإغفال ومهما كان من ذلك فلن اجمع بين الإساءة والإنكار وان كنت كما تصف من التقصير وعما تعرف من التفريط فأنى من شاكرى أهل هذا الزمان وحسن الحال متوسط المذهب وانا احمد الله على ان كانت مرتبتك من المنعمين فوق مرتبتى في الشاكرين وقد كانت على بك نعمة اذا اقتنى طعم العز وعودتني روح الكفاية والموت هذا الدهر وجهد هذا قرداً وخنزيراً ترك فيهما مشابه من الإنسان ولما مسخ الله زماننا لم يترك فيه مشابه من الزمان وقال أبو عثمان : ليس جهد البلاء مد الأعناق وانتظار وقع السيف لان الوقت قصير والحين مغمور مؤنبا وابن عم شامتاً وجاراً حاسداً ووليا قد تحول عدواً وزوجة مختلفة وجارية مسبعه وعبداً يحقرك وولداً ينتهرك (١٠٦) . وقد اقطع ابن الزيات الجاحظ أربعمائة جريب (١٠٧)

واستمرت صلة الجاحظ بابن الزيات تزداد توثقا على مر الأيام وان اتصاله بابن الزيات جعل من الوزير إن يقطعه ارض واسعة سميت بالجاحظية (١٠٨) .

عرف الأمراء والكبراء فضل الجاحظ وشهد بنبوغه وعبقريته فقربوه منهم وأدنوه من مجالسهم وعمروا أوقاتهم بجليل علمه ورفيع أدبه وأغدقوا عليه من الهدايا والعطايا ما كفاه وأغناه فلقد أحبه محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم والواثق من بعده وكان من دهاه الأدب والسياسة فصادقه وأخاه وعشق فيه علمه الغزير وأدبه الوفير وعبقريته الفذة كتب الجاحظ كتاب الحيوان وأهداه إلى ابن الزيات هذا فأعطاه خمسة ألاف دينار ويظهر إن الجاحظ كان يعيش في رغد من فيض العطايا والمنح التي كانت تتدفق عليه وقد سأله سائل مرة عما إذا كانت له ضيعة بالبصرة فتبسم وقال ((إنما إنا وجارية وجارية تخدمها وخادم وحمار أهديت كتاب الحيوان إلى محمد بن عبد الملك فأعطاني خمسة ألاف دينار وأهديت كتاب البيان والتبيين إلى ابن أبي دواد فإعطاني خمسة ألاف دينار وأهديت كتاب الزرع والنخل إلى إبراهيم بن العباس الصولى فأعطاني خمسة ألاف دينار فانصرفت إلى البصرة ومعي ضيعة لا تحتاج إلى تجديد ولا تسميد)) (١٠٩) .

وفي خلافة المعتصم إلف الجاحظ كثيراً من رسائله المشهورة فرسالته في ((صناعات القوا د)) (١١٠) . يذكر في مقدمتها انه دخل على أمير المؤمنين المعتصم بالله فقال له :يا أمير المؤمنين في اللسان عشر خصال ثم يخلص من ذلك إلى قوله : فحض يا أمير المؤمنين أولادك بان يتعلموا من كل الأدب فانك إن أقردتهم بشيء واحد ثم سئلوا عن غيره لم يحسنوه (١١١)

وكذلك إلف الجاحظ رسالته ((فضل هاشم على عبد شمس)) (١١٢) في عهد المعتصم ويبدو انه أهداها إلى الخليفة عام ٢٢٦ هـ إذ يقول الجاحظ فيها ((بلغت مدة ملك بني هاشم إلى اليوم أربعا وتسعين سنة)) (١١٣) وهكذا عاش الجاحظ في عصر المعتصم مقرباً من الخلافة معظما من الخاصة والعامة على السواء .

وتشير الإخبار إلى أنه تيسرت أحواله في هذه الفترة (١١٤) فيصبح كثير المال عظيم النفوذ يخدمه الحرس والخدم وفي ذلك يقول : كان عندنا حارس يكنى أبا خزيمة (١١٥) .ويذكر في موضع أخر ابتعت خادما كان قد خدم أهل الثروة واليسار وأشباه الملوك (١١٦) ويصرح في البيان والتبيين باسم غلام كان عنده يكنى ((نفيسا)) (١١٧) وكانت داره من السعة بحيث تسمح له إن يزينها بأنواع من النباتات قد يصنع بعضها من القواصر وينفق من الجهد لحمايتها من الذر (١١٨) .

وممن اتصل بهم الجاحظ في خلافة الواثق نجاح بن سلمه (٢٤٥هـ) وكان على الأموال في زمن الواثق والمتوكل (١١٩) وللجاحظ فيه قصيدة يتحدث الجاحظ عن زهده وعن الأيام التي يستوي عندها العالم والجاهل

وقال في ابن سلمه : سواء على الأيام صاحب حنكة وأخر كاب لا يريش ولا يبرى (١٢٠)

ولقد مدح الجاحظ جماعة منهم إبراهيم بن رياح بن شبيب الجوهري الكاتب وكان والياً على الاهوار وأبو الفرج نجاح بن سلمه وكان يكاتب جملة منهم إبراهيم بن المدبر وكان إبراهيم هذا ينبسط مع أبي عثمان وكانا يجتمعان في كل ثلاثة أيام (١٢١) .

لقد شعر الجاحظ في هذه المرحلة بعز السلطان ونفوذه وربما راودته نفسه لبلوغ مقام أعلي وارفع مما هو فيه وتعبر الرواية الآتية عن ذلك اصدق تعبير وكان الجاحظ في هذه الفترة كثير المال عظيم النفوذ دخل عليه صديق له فسأله : كيف حالك يا أبا عثمان ؟ فقال الجاحظ : سالتنى عن الجملة فاسمعها منى واحداً واحداً حالي أن الوزير يتكلم برأيي وينفذ امرئ ويواتر الخليفة الصلات إلى واكل من لحم الطير أسمنها والبس من الثياب أفخرها واجلس على الين الطبرى وأتكى على هذا الريش ثم اصبر على هذا حتى يأتي الله بالفرج فقال له سائله : الفرج ما أنت فيه قال : بل أحب أن تكون الخلافة لي ويعمل محمد بن عبد الملك بأمري ويختلف الى فهذا هو الفرج (١٢٢) .

كما نرى بهذه العبارة قد وصف الجاحظ حاله وبسطة جاهه وما ذكره للخلافة إلا أمنية من أماني النفس التي لا حد لها في مطامعها ولعله وهو يقول هذا قد أبدى لسائله إشارة إخراج بتا الكلمة مخرج المزاح وإلا فمثل هذه العبارة متى خرجت مخرج الجد كانت غير مأمونة العاقبة والجاحظ أعقل من أن يعرض نفسه للمعاطب وهو يعلم أن الملك عقيم (١٢٣) . ويبدو أن الجاحظ لم يكن جاداً حينما عبر عن تطلعه لمنصب الخلافة لان سيرته العملية لا تشير إلى حرصه على شغل المواقع الإدارية والسياسية في الدولة

وبخاصة وانه كان يصرف معظم وقته في الكتابة والتأليف وانه حينما عهد إليه ديوان الرسائل لم يمكث فيه سوى ثلاثة أيام ثم استعفي منه (١٢٤).

كان بين الجاحظ والوزير ابن الزيات ولاء وود فلما مات الواثق وولى الخلافة من بعده المتوكل وكان هذا ذا حفيظة على عبد الملك استطاع القاضي احمد بن أبي دؤاد – عدو عبد الملك ومنفسه – إن يوغر صدره عليه حتى فتك به فأراد الجاحظ ان يهرب ولكنه قبض عليه (١٢٥) . ومنذ ابتعد الجاحظ عما يستهوى من المظاهر انتهت أيام ضائقته لما اشتهر بين العالمين قدره وتحامى الخلفاء لما يعرف من بطشهم اذا غضبوا على ما لا يوازى أفضالهم إذا رضوا .

وقد ذكر ياقوت الحموي في كتابه (معجم الأدباء) عن أبي عبد الله المرزباني انه قال حول قصة الجاحظ مع ابن أبي دؤاد : ((حدث اسحق الموصلي وأبو العيناء قال : كنت عند احمد بن أبي دؤاد بعد قتل ابن الزيات فجيء بالجاحظ مقيداً وكان من أصحاب ابن الزيات وفي ناحية فلما نظر إليه قال والله ما علمتك إلا متناسياً للنعمة كفوراً للصنيعة معدداً للمساوئ وما فتني باستصلاحي لك ولكن الأيام لا تصلح منك لفساد طويتك ورداءة داخلتك وسوء اختيارك وتغالب طبعك فقال له الجاحظ خفض عليك أيدك الله فوالله لان يكون لك الأمر على خير من أن يكون لي عليك ولان أسيء وتحسن أحسن عنك من أحسن فتسيء وان يعفو عنى حال قدرتك احمل من الانتقام مني فقال له ابن أبي دؤاد قبحك الله ما علمتك إلا كثير تزويق الكلام وقد جعلت ثيابك إمام قلبك ثم اصطفيت فيه النفاق والكفر ما تأويل هذه الآية ((وكذلك اخذ ربك إذا اخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه اليم شديد)) ؟ قال : ((تلاوتها تأويلها اعز الله القاضي فقال جيئوا بحداد فقال اعز الله القاضي ليفك عني أو ليزيدني فقال بل ليفك عنك فجيء بالحداد فغمزه بعض أهل المجلس إن يعنف بساق الجاحظ ويطيل إمرة قليلاً فلطمه الجاحظ وقال اعمل عمل شهر في يوم وعمل يوم في ساعة وعمل ساعة في لحظة فان الضرر على ساقي وليس بجذع ولا ساجة فضحك ابن أبي دؤاد وأهل المجلس منه وقال ابن أبي دؤاد لمحمد بن منصور وكان حاضراً إنا أثق بظرفه ولا أثق بدينه ثم قال يا غلام صر به إلى الحمام وأميط عنه الأذى واحمل إليه تخت ثياب وطويلةً وخفاً فلبس ذلك ثم أتاه فتصدر مجلسه ثم اقبل عليه وقال هات ألان حديثك يا أبا عثمان)) (١٢٦) . وهكذا استطاع الجاحظ بخفته وظرفه وذكائه وسرعة خاطره أن يخلص نفسه من اعنف المأزق وان يحيل السخيمة والغدر في نفوس أعدائه إلى صفاء ومحبة (١٢٧)

وكتب إلى ابن أبي دؤاد يستعطفه ((ليس عندي أعزك الله سبب ولا اقدر على شفيع إلا ما طبعك الله عليه من الكرم والرحمة والتأميل الذي لا يكون إلا من نتاج حسن الظن واثبات الفضل بحال المأمول وأرجو أن أكون من العتقاء الشاكرين فتكون خير معتب وأكون أفضل شاكر ولعل الله أن يجعل هذا الأمر سبباً لهذا الإنعام وهذا الإنعام سبيلاً للانقطاع إليكم والكون تحت أجنحتكم فيكون لا أعظم بركة ولا أنمى

بقية من ذنب أصبحت فيه وبمثلك جعلت فداك عاد الذنب وسيلة والسيئة حسنة ومثلك من انقلب به الشر خيراً والغرم غنماً ومن عاقب اخذ حظه وإنما الأجر في الآخرة وطيب الذكر في الدنيا على قدر الاحتمال وتجرع المرائر وأرجو إن لا أضيع واهلك فيما بين عقلك وكرمك وما أكثر من يعفو عمن صغر ذنبه وعظم حقه وإنما الفضل والثناء العفو عن عظيم الجرم ضعيف الحرمة وان كان العفو العظيم مستطرفاً من غيركم فهو تلاد فيكم حتى ربما دعا ذلك كثيراً من الناس الى مخالفة أمركم فلا انتم عن ذلك تنكلون ولا على سالف إحسانكم تندمون وما مثلكم إلا كمثل عيسى بن مريم حين كان لا يمر بملأ من بني إسرائيل إلا اسمعوه شراً واسمعهم خيراً فقال له شمعون الصفا : ما رأيت كاليوم كلما أسمعوك شراً أسمعتهم خيراً فقال : كل امرئ ينفق مما عنده وليس عندكم إلا الخير ولا في أوعيتكم إلا الرحمة وكل إناء بالذي فيه ينضح)) (١٢٨) .

فالجاحظ في استعطافه لصاحبه هنا لبق ذكي يستخدم طاقته الفنية في تعبئة المعاني التي تملأ القلب بالرضا وتحرك المشاعر نحو الغفران والصفح لما تتضمنه من ممالاة للشعور وإرضاء للغرور فهو يعترف بذنبه لصاحبه وليس لديه من شيء يعتذر به ولا شفيع يلجأ إليه إلا عفوه وكرم طبعه فبمثله يتحول الشر إلى خير والغرم إلى غنم والسيئة إلى حسنة وإذا كان العفو عند غيره شيئا يستطرف فهو عنده طبع وغريزة انه في العطف والتسامح كعيسى بن مريم يتلقى من الناس شرا ولكنه لا يرد عليهم إلا بالخير لان كل امرئ ينفق مما عنده وكل إناء بالذي فيه ينضح إن هذه المعاني التي نمقها الجاحظ لصاحبه يستعطفه بها لا تنبع من قلبه ولا تفيض من وجدانه ولكنها معان ذهنية يوظفها في ذكاء ولباقة ليصل بها ما انقطع من أسباب المودة بينه وبين قاض كبير له في بلاط الخلافة مكان مرموق فهي لا تدل على تجربة نفسية صادقة عاناها الجاحظ وانفعل بها بقدر ما تدل على براعته واقتداره في خلق المعاني التي يريدها حتى ولو لم يكن وراءها رصيد من عواطفه فالجاحظ في هذا الباب – باب الاعتذار والاستعطاف – يصدر عن ذكاء ولباقة ووعى بتصريف المعاني في وجوهها أكثر مما يصدر عن إحساس صادق بتجربة تهز نفسه وتحرك وجدانه فيعبر عنها تعبيراً فنياً أصيلا ينبع من عواطفه لا من ذهنه ولعل السبب في هذه الظاهرة أن صلة الجاحظ بمن كان يكتب إليهم لم تكن صلة نفسية عاطفية ولكنها كانت صلة انتفاع مادي فهولاء كانوا يغمرونه بعطاياهم التي كانت هي مورد رزقه (١٢٩)

وللجاحظ شعر في ابن أبي دؤاد (١٣٠) وله رسالة إليه في الاعتذار (١٣١) ولما فلج القاضي وخلفه ابنه أبو الوليد لزمه الجاحظ إلى أن صرف عن القضاء وتوفى أبو الوليد ثم توفى أبوه بعده بعشرين يوما وذلك عام(٢٤٠ هـ) (١٣٢) .

وفي خلافة المتوكل (٢٣٢ / ٢٤٧ هـ) أصبح الجاحظ وثيق الصلة بوزيره التركي الفتح بن خاقان وقدم له بعض كتبه ومنها رسالته المشهورة ((مناقب الترك وعامة جند الخلافة)) واستحكمت أواصر الصداقة

بينهما وكان الفتح يثنى على الجاحظ عند المتوكل (١٣٣) . ويأخذ له منه الجوائز الطائلة ولا نلبث أن نرى الفتح بن خاقان وزير المتوكل شغوفاً به وبمجالسته ونراه يكتب إليه بأمر من المتوكل أن يصنف رسالة في الرد على النصارى (١٣٤) ويغلب أن يكون هذا التكليف في سنة (٢٣٥ هـ) وهي السنة التي اخذ فيها المتوكل النصارى وأهل الذمة بلبس الطيالس .

لقد كانت الخلافة في عهد المتوكل تشعر بحاجتها إلى فكر وقلم الجاحظ لذا فقد حرص الفتح بن خاقان وزير المتوكل ((وكان له نصيب من العلم ومنزلة الأدب)) (١٣٥) . كما يقول المسعودي على الاستعانة بالجاحظ في مواجهة بعض التحديات الفكرية القائمة آنذاك فقد كلف الفتح بن خاقان الجاحظ بناء على طلب الخليفة إن يؤلف كتابا في الرد على النصارى (١٣٦) .

وبفضل هذه الحرمة تمكن النصارى من تولى المناصب الخطيرة في الدولة العباسية في عهد المأمون لكن نفوذهم بلغ من الاتساع حداً أصبح معه يتهدد الإسلام فكانت من المتوكل انتفاضة عنيفة هيأ الجاحظ لها الطريق برسالته الشهيرة الرد على النصارى بالنسبة للحظوة الكبيرة التي كانت تنعم بها هذه الأقليات ولاسيما النصارى كان المسلمون يخشون خطر تعاليمها خصوصاً عندما أطلقت حرية القول في زمن المأمون وقد بلغ الخوف بالمتوكل حداً سنة (٢٣٥ هـ) جعله يزيد من صرامة القوانين بحقها كمنعها مثلا من ركوب الخيل أو حمل السلاح أو بناء المعابد الجديدة وتبريراً لهذا التصرف كلف الخليفة العباسي وزيره الفتح بن خاقان إن يثير بواسطة الجاحظ موجه من الحقد عليها فكتب أبو عثمان رسالته الرد على النصارى يحمل فيها أهل الكتاب المشبهة المشركين في هذه الرسالة الصارمة حاول الجاحظ إن يدحض حجج النصارى ويبرهن على إن الوحي الإلهي نزل جزئياً على اليهود والمسيحيين فشوهوه ثم جاء بني الإسلام يعيد له حرمته ويصونه ثم يمضي في تعداد الأسباب التي جعلت لأهل الكتاب بوجه عام وللنصارى بوجه خاص تلك الحرمة الفريدة فتميزوا في مراكبهم وملابسهم وصناعتهم (١٣٧) .

ومن صور نثره من رسائله الاخوانية كتب إلى الفتح بن خاقان بيوم عيد ((اخرتنى العلة عن الوزير – أعزه الله – فحضرت بالدعاء في كتابي لينوب عني ويعمر ما أخلته العوائق مني واسأل الله تعالى أن يجعل هذا العيد أعظم الأعياد السالفة بركة على الوزير من دون الأعياد المستقبلة فيما يحب ويحب له ويقبل ما توسل به إلى مرضاته ويضاعف بالإحسان إليه على الإحسان منه ويمتعه بصحبة النعمة ولباس العافية ولا يريه في مسرة نقصاً ولا يقطع عنه مزيداً ويجعلني من كل سوء فداءه)) (١٣٨) .

وهذا الميل إلى العيش ألرخي دفع الجاحظ إلى التنقل باستمرار فإذا هو دائماً على سفر وإذا هو لا يكتفي بالعراق مقراً فتركه إلى مصر والى دمشق والى انطاكيه والى غير بلدان يسرح بصره وبصيرته حيثما يحل ويدون انطباعاته بأسلوب فكه رشيق (١٣٩) واتصل الجاحظ أيضا بالفتح بن خاقان وسافر معه إلى دمشق ووصف مسجدها في كتابه البلدان كما انه دخل انطاكيه (١٤٠) .

وكتب هذا إلى الفتح بن خاقان وزير المتوكل في المشكلة التي كان يراها رجال الدولة من أهم ما يعالج يومئذ وهي مسألة اللغط في الجيش من تسرب الأتراك إليه ومن يقرأ رسالته في مدح الأتراك لا يصعب عليه أن يدرك أن الجاحظ على بلاغته ولطيف حيلته كان هنا يجمجم ولا يصرح وهو بحكم دمه وتربيته ومنشئه يحب العرب ويعد سائر الأمم دونهم في المنزلة والجنس ويرى أن نساء العرب في الجملة أعقل من رجال العجم ويقول : ((فما ظنك بالمرأة منهم وان كانت مقدمة فيهم)) ويقول ((لم يكن لعبد المطلب في قريش نظير كما انه ليس في العرب لقريش نظيره وكما انه ليس في العرب للناس نظير)) وأكثر أبناء دعوته من الترك في الجيش وصارت للأتراك في الدولة الكلمة المسموعة فصبا إلى إن يوفق بين المصلحتين مصلحة الدولة في القضاء على تحاسد العناصر في جيشها والخوف من هولاء الأتراك وقد بدت طلائع سلطانهم وتجلى بطشهم وفتكهم وعادت تعرف مراميهم وعلى هذا كان الجاحظ على بعض صواب في كتابه هذا والى معذرة فيما موه فيه فقد نفع نفسه بان ارض الأتراك ونفع دولته بان اهدأ الأفكار الثائرة وبضع صفحات من كلام الجاحظ افعل في الناس من عشرات من رسائل غيره وخطبهم وهذا سر تمسك رجال الدولة به والضن بصداقته (١٤١) .

ويقول الجاحظ ذكرت للمتوكل لتأديب بعض ولده فلما راني استبشع منظري فأمر لي بعشرة ألاف درهم وصرفني (١٤٢) .

ولقد توصل الفتح بن خاقان إلى بسط حمايته الودية على الجاحظ وكان بين الرجلين اللذين تعارفا منذ زمن بعيد وشائج نفيسة تقرب بينهما وبخاصة في حبهما الأسطوري للكتب وكان الفتح إلى ذلك صديقا للشعراء والأدباء وهو الذي قدم الجاحظ للمتوكل وإذا اعتمدنا على الروايات القائلة بان الجاحظ كان يستقبل رسل الخليفة في داره فمن الممكن إن يكون قد سمح له بارتياد القصر بصورة منتظمة وهو وان تقدمت به السن يومئذ فقد كان قادرا بفضل سعة علمه على خدمة الدعاوة الرسمية في كل الحالات التي لم يكن فيها المعتزلة طرفا في القضية ولدينا في هذا المجال رسالة ذات دلالة للفتح بن خاقان يقول فيها ((إن أمير المؤمنين يجد بك ويهش عند ذكرك ولولا عظمتك في نفسه لعلمك ومعرفتك لحال بينك وبين بعدك عن مجلسه ولغصبك رأيك وتدبيرك فيما أنت مشغول به ومتوفر عليه ولقد كان ألقى ألي من هذا عنوانه فزدتك في نفسه زيادة كف بها عن تجشيمك فاعرف لي هذه الحال واعتقد هذه المنية على كتاب ((الرد على النصارى)) وافرغ منه وعجل به إلى وكن ممن جدا به على نفسه وتنال مشاهرتك وقد استطلقته لما مضى واستسلفت لك لسنة كاملة مستقبلة وهذا ما لم تحلم به نفسك وقد قرأت رسالتك في (بصيرة غنام) ولولا أنى أزيد في مخيلتك لعرفتك ما يعتريني عند قراءتها والسلام))(١٤٣).

بين مد مرهق وجزر مشرق تميزت حياة الجاحظ بطابع خاص كان دأبه إن يوطد مقامه في عاصمة الإسلام بغداد بفضل مواهبه وبفضل الاستقلال الذي يوفره المال أو العصمة التي يؤمنها عطف الحاكمين

سعيداً كان أقصى مناه إن يحوط إقامته في حاضره الرشيد بالأمن والرفاء الضروريين له ليدافع عن مبادئه المنطقية و ينشرها وليتسنى له العيش الرغد الذي أراد اجل كلفته كثيراً حماية البلاط وما تقتضيه من محاباة وتملق لكنها أنالته فوائد جمة حسبها أنها أتاحت له الحرية الكافية ليعلن ما يفكر به بل حسبها أنها وسعت إمامه أفاق الاختبار والملاحظة فساعدته على إن يكون اصدق وأدق شاهد لعصره (١٤٤) .

إن نضجه الفكري بدأ بالتبلور في عهد المأمون وبلغ ذروته في عهد المعتصم والواثق والمتوكل وقد تعاونت البصرة بمربدها وعلمائها ونزعتها في الاعتزال مع مدينة السلام التي أنشأها المنصور عام ١٤٦ هـ واتخذها عاصمة للخلافة ومع سرى من رأى التي أنشأها المعتصم واتخذها عاصمة للخلافة في تكوين الجاحظ أديبا فذاً وعلماً من إعلام علم الكلام البارزين كشيخه النظام وشخصية اجتماعية مرموقة وقد هيأت له حياته في الحواضر الكبرى الثلاث فرصة نادرة للدراسة والتأليف والاتصال برجال الفكر والسياسة والأدب وبالمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل فنال جوائزهم وتمتع برعايتهم وتشجيعهم وهذا واضح بصورة خاصة في بغداد وسر من رأى في زمن المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل عبر رجال الأدب والسياسة البارزين إبراهيم بن العباس ألصولي والفتح بن خاقان ومحمد بن عبد الملك الزيات واحمد بن أبي دؤاد كما هيأت له حياته في بغداد وسر من رأى فرصة نادرة للجاه والثراء (١٤٥)

ويظهر انه ترك عاصمة الخلافة (سر من رأى) ليقر في البصرة قبيل مقتل المتوكل عام (٢٤٧ للهجرة) بعد إن علت سنه واشتدت وطاه علته (١٤٦) فلم نسمع عن اتصاله بالخلفاء من بعد المتوكل وان كان قد اتصل بابن المدبر ولاية البصرة (١٤٧) .وكان الجاحظ في هذه الفترة قد لزم داره في البصرة ولا يفسر هذا الانقطاع عن الناس بسوء حالته الصحية وميله إلى العودة للبصرة بل بتأثير تغير اتجاه السياسة العباسية والخطر الذي يتهدده بكونه معتزليا مقتنعا وهذا ما يحملنا على الاعتقاد بان انقطاع الجاحظ عن الناس حدث قبل موت المتوكل والفتح بن خاقان بدليل روايات عديدة تذكر أيفاد رسل الخليفة إلى البصرة لجلب الجاحظ (١٤٨) .

ورغم ذلك ظلت علاقته وطيدة بالخلافة العباسية وكبار رجال الدولة حتى في انتقال عاصمة الخلافة العباسية من (بغداد) إلى (سامراء) وذكر احد الأطباء قائلاً دخلنا يوماً (بسر من رأى) على عمرو بن بحر الجاحظ نعوده وقد فلج فلما أخذنا مجالسنا أتى رسول المتوكل فيه (١٤٩). وهذا يدل على إن اهتمام الخليفة المتوكل بصحته وسلامته حتى أن الخليفة المتوكل قد طلب أن يحمل إليه الجاحظ من البصرة في السنة التي قتل فيها (١٥٠). وان احد الباحثين عن العلم والمعرفة خرج ليبحث عن الجاحظ واللقاء به فيقول : ((خرجت لا أعرج على شيء حتى قصدت بغداد فسألت عنه فقيل هو بسر من رأى فأصعد تاليها فقيل لي : قد انحدر إلى البصرة فانحدرت إليه)) (١٥١). وهذا يبين لنا بأنه كان متنقلاً بين مدن العراق الرئيسة آنذاك وهي بغداد والبصرة وسامراء وهذه المدن فيها الولادة والنشأة والثقافة .

ويظهر مما أورده ياقوت أن الجاحظ كان قد عاد إلى البصرة واستقر فيها قبل مقتل المتوكل في سنة (٢٤٧هـ) بمدة من الزمن وكان يعني في ذلك الوقت من شدة المرض ولا غرابة في ذلك إذ كان الجاحظ آنذاك قد شارف التسعين عاما من عمره : ((حدث يموت بن المزرع قال وجه المتوكل في السنة التي قتل فيها إلى الجاحظ إن يحمل إليه من البصرة وقد سأله الفتح بن خاقان ذلك فوجده لا فضل فيه فقال لمن أراد حمله : ما يصنع أمير المؤمنين بامرئ ليس بطائل ذي شق مائل ولعاب سائل وفرج بائل وعقل زائل ولون حائل)) (١٥٢). وكان قد أصيب في هذه الفترة من حياته بالشلل النصفي (الفالج) وبمرض النقرس ومن أثاره وجع وورم المفاصل (١٥٣) .

ولما مات أبو عثمان وصل نعيه إلى قصر الخلافة في بغداد وسر من رأى فأسف المعتز بالله عليه اشد الأسف وقال ليزيد بن محمد ألمهلبي : يا يزيد ورد الخبر بموت الجاحظ فقال يزيد : لأمير المؤمنين البقاء ودوام النعماء فقال المعتز : لقد كنت أحب أن أشخصه إلى وان يقيم عندي فرد عليه يزيد : انه كان قبل موته عطلا بالفالج (١٥٤) .

الخاتمة :

في هذا البحث تستوقفنا رحلة الجاحظ إلى بغداد هو ابن الأربعين عاماً ويتضح اثر بغداد في إثراء ثقافته حيث أن التكوين الثقافي للجاحظ قد تكامل أساسا في البصرة وان الإضافات التي وجدها في بغداد كانت ضئيلة قياسا إلى ثقافته البصرية وان مرحلة ارتفاق الجاحظ بالمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل وعيشه في بغداد وسامراء كانت مرحلة الإنتاج والتأليف أكثر من كونها مرحلة لتكوين رسوسة الثقافية مع قناعتنا بان مرحلة ما بعد البصرة قد عززت قدرات الجاحظ في مواكبة النهضة الثقافية التي أثمرتها حركة الترجمة النشيطة في بغداد .

أتاحت بغداد لأبي عثمان حظاً عظيماً من المجد الأدبي كان يطمع إليه ويتوثب نحوه كما رأينا فاتصل بالسلطان وجالس الخليفة واستمع إليه يحدثه ويثنى عليه ويطرى كتبه واحكم أسبابه بولاة الأمر وأصحاب الحل والعقد واستطار صيته واتسعت شهرته واقبل الناس على أثاره قراءة ودرساً إلى غير ذلك من مظاهر المجد الأدبي الذي وجد في البيئات البغدادية ما يشبه ويضرمه ويبهر به .

أن نضجه الفكري بدأ بالتبلور في عهد المأمون وبلغ ذروته في عهد المعتصم و الواثق والمتوكل وقد تعاونت البصرة بمربدها وعلمائها ونزعتها في الاعتزال مع مدينة السلام التي أنشأها المنصور عام (١٤٦ هـ) واتخذها عاصمة للخلافة ومع سر من رأى التي أنشأها المعتصم واتخذها عاصمة للخلافة عام (٢٢١ هـ) في تكوين الجاحظ أديبا فذاً وعلماً من إعلام علم الكلام البارزين كشيخه النظام وشخصية اجتماعية مرموقة وقد هيأت له حياته في الحواضر الكبرى الثلاث فرصة نادرة للدراسة و التأليف والاتصال برجال الفكر والسياسة والأدب وبالمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل فنال جوائزهم و تمتع برعايتهم وتشجيعهم

وهذا واضح بصورة خاصة في بغداد وسر من رأى في زمن المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل عبر رجال الأدب والسياسة البارزين إبراهيم بن العباس ألصولي والفتح بن خاقان ومحمد بن عبد الملك الزيات ومحمد بن أبي دؤاد كما هيأت له حياته في بغداد وسر من رأى فرصة نادرة للجاه والثراء .

عاش الجاحظ طول حياته على صلة وثيقة بالخلافة العباسية بينه وبينها علاقات مودة وحب واحترام اشترك في الدفاع عن كيان الدولة وقصر وكده على الأمور الكبرى في سياسة العباسيين وكان لأبي عثمان يد عند السلطان فقد اتخذ بالطريقة التي سلكها في بعض تأليفه يداً عند الخلفاء ورجال الدولة فأصبحوا له قوة وسندا وبسطوا له جناح رحمة وصار في أمن من العامة ومن أراء أصحاب المذاهب والنحل المختلفة وكان الجاحظ يهون من شأن الغوغاء لان آراءهم لا تستند على أساس من منطق أو مصلحة عامة أو مثل عالية .

كتب الجاحظ كتبه في الإمامة والعباسية بتكليف من المأمون ورفعها إليه فقرأها واثني عليها وأذاعها في الناس ولما زادت الخصومة بين العنصرين الفارسي والتركي في جيش الخلافة كلفه الفتح بن خاقان وزير المتوكل وكان من أصل تركي إن يكتب رسالة يلطف بها من حدة هذا التوتر فكتب رسالته المشهورة((مناقب الترك وعامة جند الخلافة))حيث أشرك غير الأتراك معهم فأرضى الجميع وخدم دولته بان هدأ الأفكار الثائرة إذ لكلام الجاحظ سحره وتأثيره الشديد في الناس .

Abstract

Basra with Murbid and scientists and their tendency to retire with Baghdad, created by Mansour year (145) and taken the capital of the caliphate and with Samarra established by Mutassim and taken the capital of the caliphate in (221) in the composition of AL-Jahiz author feat and the flag of theology prominent has been created his life in the major cities of the three rare opportunity to study the composition and contact with men of thought, politics, literature and Almamon and Mutassim and confident and Mutawakkil he received their prizes and get the carers and encourage them, and this is particularly evident in Baghdad, the Samarra at the time of the safe and Mutassim and confident and Mutawakkil across men of literature and politics prominent Ibrahim bin Abbas Olsola and Fatih Bin Hakan and Muhammad Ibn Abd al-Zayat and King Mohammed Ibn Abi Dwad also created a secret life in Baghdad and Samarra opportunity to superiority and wealth. This role of the roles of his life, a role long stretches nearly fifty years submerge AL-Jahiz literary life and mental health in the Muslim world so flood rich who combines different colors of the faces of artistic activity and scientific .

هوامش البحث

١ – شارل بلات ، الجاحظ في البصرة وبغداد و سامراء ، ص ١١ .

٢ – حسن السندوبي ، أدب الجاحظ ، ص ٢٤ ؛ محمد عبد المنعم خفاجي ، أبو عثمان ، ص ٦٥

٣ – جميل جبر ، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، ص ٩ .
٤ – احمد امين ، ضحى الإسلام ،ج٣ ، ص ٢٢٦ ؛ شارل بلات ، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء ، ص ١١ -١٢ ؛ وهيب طنوس ، في النثر العباسي ، ص ١١٣ .
٥ – ينظر الى بحث أ . م .د زاجية عبد الرزاق حسن – البصرة في حياة الجاحظ ،منشورفي مجلة مركز دراسات الكوفة ،جامعة الكوفة ، العدد ٢٥ ، ٢٠١٢
٦ – شارل بلات ، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء ، ص ١٠ – ١١ .
٧ – وهيب طنوس ، في النثر العباسي ، ص ١٠٨ .
٨ – شارل بلات ، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ص ١٤ .
٩ – شارل بلات ، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء ، ص ١١٥ .
١٠ – ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٧٥
١١ – ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٣٩ .
١٢ – شارل بلات ، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء ، ص ٣٩٩ .
١٣ – فوزي عطوي ، الجاحظ دائرة معارف عصره ، ص ١٤ .
١٤ – ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ١٠٦ ؛ محمد عبد المنعم خفاجي ، ابو عثمان ، ص ٦١ .
١٥ – شارل بلات ، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ص ٣٩٩ .
١٦ – ابن النديم ، الفهرست ، ص ٧١ ؛ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٥ ، ص ٢٣٥ .
١٧ – ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٥ ، ص ٢٣٥ .
١٨ – الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص ٣١٨ .
١٩ – ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ١٧٠ .
٢٠ – ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٣ ، ص ١٧١ .
٢١ – الجاحظ ، الحيوان ، ج٦ ، ص٦٢ .
٢٢ – الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ٤ ، ص ٩١ .
٢٣ – الجاحظ ، الحيوان ، ج٣ ، ص ١٣١ .
٢٤ – ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٢٠١ .
٢٥ – ابن المرتضى ، طبقات المعتزلة ، ص ٦٠.
٢٦ – الجاحظ ، الحيوان ، ج٣ ، ص ٦٠ .
٢٧ – البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ١١١ .
٢٨ – الجاحظ ، الحيوان ، ج١ ، ص ٢٨١ ؛ الجاحظ ، البخلاء ، ص ٣٨ .
٢٩ – الجاحظ ، الحيوان ، ج٢ ، ص ٢٢٩ – ٢٣٠ .
٣٠ – ابن المرتضى ، طبقات المعتزلة ، ص ٥٢ – ٥٤ .
٣١ – الجاحظ ، الحيوان ، ج٦ ، ص ص ٩٠ – ٩١ .
٣٢ – ابن المرتضى ، طبقات المعتزلة ، ص ٦٧ .
٣٣ – الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص ١١١ .

٣٤ – الجاحظ ، البخلاء ، ص ٢٠٩ .

٣٥ – الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ١١١ .

٣٦ – طه الحاجري ، الجاحظ حياته واثاره، ص ١٨٩ ؛ د. محمدعويس ، المجتمع العباسي ، ص ١٣ – ١٤ ؛ نوري جعفر، الجوانب السايكولوجيه ، ص ١٢ .

٣٧ – الطوسي ، الفهرست ، ص ٧٥ .

٣٨ – الاشعري ، مقالات الاسلاميين ، ص ١٠٧ – ١٠٨ .

٣٩ – الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ،ص ٣٧ – ٣٨ .

٤٠– ابن ابي اصيبعه ،عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ص ٢٨٥ وما بعدها .

٤١ – الجاحظ ، البخلاء ، ص ٨١ – ٩٣ .

٤٢ – طه الحاجري ، الجاحظ حياته واثاره ، ص ٢٢٤ ؛ وهيب طنوس ، في النثر العباسي، ص ١٠٧ .

٤٣ – طه الحاجري ، الجاحظ حياته واثاره ، ص ١٨٣ – ١٨٤ ؛ هاشم يحيى الملاح ، الجاحظ واسهاماته الثقافية ، ص ١٢٤

٤٤ – الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج٣ ، ص ٣٧٤ – ٣٧٥ .

٤٥ – فوزي عطوي ، الجاحظ دائرة معارف عصره ، ص ١٤.

٤٦ – ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج٢ ، ص ١٤٠ .

٤٧ – شارل بلات ، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء ، ص ٣٨٧ .

٤٨ – شارل بلات ، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء ، ص ٣٩٣ .

٤٩ – الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٢٢٣ .

٥٠ – وديعة طه النجم ، الجاحظ والبلاط العباسي ، ص ٣٤ .

٥١ – طه الحاجري ، الجاحظ حياته واثاره ، ص ١٨٤ ؛هاشم يحيى الملاح ، الجاحظ واسهاماته الثقافية ، ص ١٢٥ .

٥٢ – طه الحاجري ، الجاحظ حياته واثاره ، ص ٢١١ .

٥٣ – ابو فرج الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٠ ، ص ١١٦ ؛ طه الحاجري ، الجاحظ حياته واثاره، ص ١٨٥.

٥٤ – الجاحظ ، رسائل الجاحظ (مناقب الترك) ، ج ١، ص ٦١.

٥٥ – د. محمد عويس ، المجتمع العباسي ، ص ٣٠٣ .

٥٦– طه الحاجري ، الجاحظ حياته واثاره ، ص ٢١١ ؛ نوري جعفر، الجوانب السايكولوجيه، ص ١٢ ؛ هاشم يحيى الملاح ، الجاحظ واسهاماته الثقافية، ص ١٢٥ .

٥٧- ياقوت الحموي ، معجم الادباء، ج ١٦ ،ص ٧٩ ؛محمد عبد المنعم الخفاجي ، ابو عثمان، ص ٦٧ ، حسن السندوبي ، ادب الجاحظ ، ص ٣٤ – ٣٥ .

٥٨ – نوري جعفر ، الجوانب السايكولوجيه ، ص ١٨ .

٥٩ – ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٨٤ ؛ شفيق جبري ، الجاحظ معلم العقل والادب ، ص ٢٠٦ – ٢٠٧ .

٦٠ – شفيق جبري ، الجاحظ معلم العقل والادب ، ص ٢٠٧ ؛ سيد نوفل ، ابو عثمان الجاحظ ، ص ١١٥.

٦١– الجاحظ ، رسائل الجاحظ (مدح التجار وذم عمل السلطان) ، ج ٤ ، ص ١٩٦ .

٦٢ – فوزي عطوي ، الجاحظ دائرة معارف عصره ، ص ١٤ -١٥؛ سامي الكيالى ، النفس الانسانية في ادب الجاحظ ، ص١٦.

٦٣ – وهيب طنوس ، في النثر العباسي ، ص ١٠٩ .

٦٤ – عبد الغني اسماعيل و محمد عبد المنعم الخفاجي ، من بلاغة العرب ، ص ٣٩ .

٦٥ – عبد الغني اسماعيل ومحمد الخفاجي ، من بلاغة العرب ، ص ٣٩ ؛ محمد عبد المنعم الخفاجي ، الادب العربي ، ص٣٣٥ .

٦٦ – عبد الغني اسماعيل ومحمد الخفاجي ، من بلاغة العرب ، ٤٠ ؛ محمد عبد المنعم الخفاجي ، الادب العربي ، ص ٣٣٥ .

٦٧ – كارل بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ، ج٣ ، ص ١٠٧ ؛ د. محمد عويس ، المجتمع العباسي ، ص١٥ ؛ محمد عبد المنعم الخفاجي ، ابو عثمان ، ص ٦٨ .

٦٨ – حسن السندوبي ، ادب الجاحظ ، ص ص ٣٧ .

٦٩ – محمد كرد علي ، امراء البيان ، ج٢ ، ص ٣٢٠ .

٧٠ – محمد عبد المنعم الخفاجي ، ابو عثمان ، ص ٦٥ .

٧١ – محمد عبد المنعم الخفاجي ، ابو عثمان ، ص ص ٦٦ .

٧٢ – وديعة طه النجم ، الجاحظ ابو عثمان ، ص ٤٩ .

٧٣ – الجاحظ ، رسائل الجاحظ (في خلق القران) ، ج ٣، ص ٢١٥ – ٢٣٠.

٧٤ – وديعة طه النجم ، الجاحظ ابو عثمان ، ص ٥٠ ؛ نعمت محمد علي جواد ، العصر العباسي الاول في كتابات الجاحظ ، ص ٤١٢ ؛ جميل جبر ، الجاحظ ، ص ٣١٠ ؛ فاروق عمرفوزي ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص ١٧٥ .

٧٥ – هدى بهنام ، الموروث الجاحظ ، ص ٢٢٧ – ٣٠٤ ؛ جميل جبر ، الجاحظ ، ص ٣١٠ ؛ فاروق عمر فوزي ، الجاحظ مؤرخا ، ص ٩٣ ؛ نعمت جواد ، العصر العباسي الاول في كتابات الجاحظ ، ص ٤١١ .

٧٦ – الجاحظ ، رسائل الجاحظ (في خلق القران) ، ج٣ ،ص ٢١٥ – ٢٣٠ .

٧٧ – الجاحظ ، رسائل الجاحظ (نفي التشبيه) ، ج ١ ، ص ١٩٧ – ٢١٨ .

٧٨ – الجاحظ ، رسائل الجاحظ (الرد على المشبهة) ، ج٤ ، ص ٣ – ١٢ .

٧٩ – الجاحظ ، رسائل الجاحظ (النابتة) ، ج ٢ ،ص ٣ – ١٨ .

٨٠ – الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ ، ص ١٠٣ .

٨١ – الجاحظ ، الحيوان ، ج١ ، ص ٩ ؛ ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج١٦ ، ص ١٠٠ .

٨٢ – الجاحظ ، رسائل الجاحظ (الرد على النصارى) ، ج٣ ، ص ٢٢٩ – ٢٦٤ .

٨٣ – ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ١٠٠ .

٨٤ – ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٣ ، ص ٤٥٢ – ٤٩٠ .

٨٥ – ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٤ ، ص ٩٨ – ٩٩ .

٨٦ – د. محمد محمود الدروبي ، رسالة في مناقب خلفاء بني العباس ، ص ١٣ – ٧٧.

٨٧ – الجاحظ ، رسائل الجاحظ (في طبقات المغنين) ، ج ٣، ص ٩٧ – ١٠١.

٨٨ – طه الحاجري ، الجاحظ حياته واثاره ، ص ٢٤٥ .

٨٩ – المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص ٩٨ .

٩٠ – المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٥٥ .

٩١ – شوقي ضيف ، تاريخ الادب العربي ، ص ٥٨٧ – ٦١٠ .

٩٢ – الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ١٠ ، ص ٢٩٤ – ٢٩٥ .

٩٣ – المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٠٨ .

٩٤ – طه الحاجري ، الجاحظ حياته واثاره ، ص ٢٦٠ .

٩٥ – طه الحاجري ، الجاحظ حياته واثاره ، ص ٢٦١ .

٩٦ – ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٧٦ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٥٤ .

٩٧ – شوقي ضيف ، العصر العباسي الاول ، ص ٥٦١ ؛ د. محمد عويس ، المجتمع العباسي ، ص ١٥ ؛ جميل جبر، الجاحظ ، ص ١٩ – ٢٣ .

٩٨ – المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص ١٠١ .

٩٩ – ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ١٠٦ .

١٠٠ – المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٩٧ – ٩٨ .

١٠١ – محمد عبد المنعم خفاجي ، ابو عثمان ، ص ٧١ .

١٠٢ – حسن السندوبي ، ادب الجاحظ ، ص ١٧١ ؛ محمد عبد المنعم خفاجي ، ابو عثمان ، ص ٧١ ؛ شفيق جبري ، الجاحظ معلم العقل ، ص ٢١٠ .

١٠٣ – الحصري ، زهر الاداب ، ج٢ ، ص ١٠٨ .

١٠٤ – ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٧٧ ؛ محمد كرد علي ، امراء البيان ، ج ٢ ، ص ٤٧٠ ؛ الحصري ، زهر الاداب ، ص ٥٣٩ ؛ محمد عبد المنعم خفاجي ، ابو عثمان ، ص ٧١ .

١٠٥ – شوقي ضيف ، تاريخ الادب العربي ، ٥٨٧ – ٦١٠.

١٠٦ – ياقوت الحموي ، معجم الادباء، ج١٦ ، ص ٧٧ ؛ محمد كرد علي ، امراء البيان، ج٢ ، ص ٤٧٥ ؛ عبد الغني اسماعيل و محمد عبد المنعم خفاجي ، من بلاغة العرب ، ص ٧٠ – ٧١ .

١٠٧ – محمد كرد علي ، امراء البيان، ج٢ ، ص ٣١٩ ؛ د. محمد عويس ، المجتمع العباسي ، ص ١٥.

١٠٨ – ابن المرتضى ، طبقات المعتزلة ، ص ٦٩ .

١٠٩ – ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٧٥ ؛ محمد كرد علي ، امراء البيان ، ج٢ ، ص ٣٢٠ ؛ وديعة طه النجم ، الجاحظ والبلاط العباسي ، ص ٣٤ ؛ فوزي عطوي ، الجاحظ دائرة معارف عصره ، ص١٩ ؛ حسن السندوبي ، ادب الجاحظ ، ص ٣٤ ؛ عبد الحكيم بلبع ، النثر الفني واثر الجاحظ فيه ، ص ١٧٨ ؛ شفيق جبري ، الجاحظ معلم العقل ، ص ٢٠٦ .

١١٠ – الجاحظ ، رسائل الجاحظ (صناعات القواد) ، ج ١، ص ٢٦٧ .

١١١ – الجاحظ ، رسائل الجاحظ (صناعات القواد) ، ج ١، ص ٢٦٧ .

١١٢ – الجاحظ ، رسائل الجاحظ (رسالة فضل هاشم على عبد شمس) ، ج ٣، ص ٦٧ – ٨٦

١١٣ – الجاحظ ، رسائل (رسالة فضل هاشم على عبد شمس) ، ج ٣، ص ٦٧ – ٨٦ .

١١٤ – حسن السندوبي ، ادب الجاحظ ، ص ٥٦١ .

١١٥ – الجاحظ ، الحيوان ، ج ٣ ، ص ٣٨ .

١١٦ – الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج٢ ، ص ٣٣١ .

١١٧ – الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج٤ ، ص ٥٢٦ – ٥٢٧ .

١١٨ – الجاحظ ، الحيوان ، ج ٥ ، ص ٤١٣ – ٤١٤ .

١١٩ – ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٤٦٩ .

١٢٠ – ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ١١١ .

١٢١ – شفيق جبري ، الجاحظ معلم العقل ، ص ٢١١ .

١٢٢ – الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١٢ ، ص ٢١٩ ؛ حسن السندوبي ، ادب الجاحظ ، ص ٣٤ ؛ محمد عبد المنعم خفاجي ، ابو عثمان ، ص ٧٥ .

١٢٣ – حسن السندوبي ، ادب الجاحظ، ص ٣٥ .

١٢٤ – هاشم يحيى الملاح ، الجاحظ واسهاماته الثقافية ، ص ١٢٦ .

١٢٥ – ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٧٩ – ٨٠ ؛ عبد الغني اسماعيل ومحمد عبد المنعم الخفاجي ، من بلاغة العرب ، ص ٣٦ ؛ شفيق جبري ، الجاحظ معلم العقل والادب ، ص ٢١٠ .

١٢٦ – ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٧٩ – ٨٠ .

١٢٧ – التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ٣٦١ ؛ فوزي عطوي ، الجاحظ دائرة معارف عصره، ص ١٩؛ عبد الحكيم بلبع ، ادب المعتزلة ، ص ٢٦٨ ؛ عبد الحكيم بلبع ، النثر الفني واثر الجاحظ فيه ، ص ١٧٩ .

١٢٨ – ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦، ص ٨٦؛ ابن نباته ، سرح العيون ، ص ١٦٠ – ١٦١ ؛ محمد كرد علي ، امراء البيان ، ج٢ ، ص ٤٦٩ ؛ عبد الغني اسماعيل ومحمد عبد المنعم الخفاجي ، ص ٣٦ .

١٢٩ – عبدالحكيم بلبع ، ادب المعتزلة ، ص ٢٦٨ .

١٣٠ – ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٨٦ ؛ حسن السندوبي ، ادب الجاحظ ، ص ١٨٠ – ١٨٢ ؛ محمد عبد المنعم خفاجي ، ابو عثمان ، ص ٧٨ .

١٣١ – الجاحظ ، رسائل الجاحظ (الى ابن ابي دؤاد في كتاب الفتيا) ، ج ١، ص ٢٢١ .

١٣٢ – المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص ٩٧ ؛احمد امين ، ضحى الاسلام ، ج٣ ، ص ٥ -٨ ؛ محمد عبد المنعم الخفاجي ، ابو عثمان ، ص ٧٨ .

١٣٣ – حسن السندوبي ، ادب الجاحظ ، ص ١٤٦ – ١٤٨ ؛ محمد عبد المنعم خفاجي ، ابو عثمان ، ص ٧٩ .

١٣٤ – ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج١٦ ، ص ٩٩ .

١٣٥ – المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤، ص ٩٩ .

١٣٦ – الجاحظ ، رسائل الجاحظ (في الرد على النصارى) ، ج٣ ، ص٢٢٩– ٢٦٤ .

١٣٧ – الجاحظ ، رسائل الجاحظ(في الرد على النصارى) ، ج ٣، ص ٢٢٩ - ٢٦٤.

١٣٨ – شوقي ضيف ، الفن و مذاهبه ، ص ١٦١ .

١٣٩ – جميل جبر ، الجاحظ ومجتمع عصره ، ص ١٢ .

١٤٠ – محمد عبد المنعم الخفاجي و عبد الغني اسماعيل ، من بلاغة العرب ، ص ٣٦ ؛ شفيق جبري ، الجاحظ معلم العقل ، ص ٢١٠ ؛ محمد عبد المنعم خفاجي ، الادب العربي ، ص ٣٣٥ .

١٤١ – محمد كرد علي ، امراء البيان ، ج ٢ ، ص ٤٤٨ .

١٤٢ –ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج١ ، ص ٥٤٠ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص ١٢٢ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٧ ، ص ٢٢٢ ؛ بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ، ج٣ ، ص ١٠٦ ؛حسن السندوبي ، ادب الجاحظ، ص ٥٩ ؛ محمد عبد المنعم خفاجي ، ابو عثمان ، ص ٧٩ .

١٤٣ – ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٩٩ ؛ محمد كرد علي ، امراء البيان ، ج٢ ، ص ٣١٨ ؛ السندوبي ،ادب الجاحظ ، ص ٣١ – ٣٢ ؛ شفيق جبري ، الجاحظ معلم العقل ، ص ٢١١ .

١٤٤ – جميل جبر ، الجاحظ ومجتمع عصره ، ص ١٣ .

١٤٥ – نوري جعفر ، الجوانب السايكولوجية ، ص ١٠ ؛ حميد مخلف الهيتي ، من مظاهر التفوق ، ص ٧٥.

١٤٦ – ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ص ١٦ ، ص ٩١ .

١٤٧ – ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج١٦ ، ص ٩١ ؛طه الحاجري ، الجاحظ حياته واثاره، ص ٣٨٨ ؛ د. محمدعويس ، المجتمع العباسي ، ص ١٧ .

١٤٨ – شارل بلات ، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء ، ص ٣٩٧ .

١٤٩ – القالي ، الامالي ، ص ٥٠ .

١٥٠ – ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ١١٣ .

١٥١ – ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج١٦ ، ص ١٠٥ .

١٥٢ – ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ١١٣ ؛ المرتضى ، امالي ، ج ١ ، ص ١٩٩؛ عبد الغني اسماعيل ومحمد عبد المنعم الخفاجي ، من بلاغة العرب ، ص ٣٦ .

١٥٣ – حسن السندوبي ، ادب الجاحظ ، ص ١٩١ .

١٥٤ – ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٧٧ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١٢ ، ص ٢١٩

قائمة المصادر والمراجع

اسماعيل ، عبد الغني و الخفاجي ، محمد عبد المنعم

١ . من بلاغة العرب ، ط١ ، المطبعة المنيرية ، ١٩٥٦ .

الاشعري ، ابو الحسن

٢ . مقالات الاسلاميين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٩ .

ابن ابي اصيبعه ، موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم بن خليفة (ت ٦٦٨ هـ – ١٧٠ م)

٣ .عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق : د. نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥ .

امين ، احمد

٤ . ضحى الاسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

بروكلمان ، كارل

٥ . تاريخ الادب العربي ، نقله الى العربية ، د. عبد الحليم النجار ، دار الكتاب الاسلامي ،ايران ، ط٢ ، د. ت .

البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد الاسفرائيني (ت ٤٢٩ هـ)

٦ . الفرق بين الفرق ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مط المدني ، د.ت .

بلات ، شارل

٧ . الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء ، ترجمة : د. ابراهيم الكيلاني ، دار اليقظة العربية ، دمشق ، ١٩٦١ .

بلبع ، عبد الحكيم
٨ . ادب المعتزلة الى نهاية القرن الرابع الهجري ، دار النهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٩ .
٩ . النثر الفني واثر الجاحظ فيه ، مطبعة الرسالة ، مصر ، ١٩٥٥ .
بهنام ، هدى
١٠ . الموروث الجاحظ ، مجلة المورد ،المجلد ٧ ، ١٩٧٨ .
التنوخي ، القاضي ابو علي المحسن ابي القاسم (ت ٣٨٤ هـ)
١١ . الفرج بعد الشدة ، تحقيق : عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .
الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ – ٨٦٨ م)
١٢ .البخلاء ، حقق نصه وعلق عليه : طه الحاجري ، دار المعارف ، مصر ، د.ت .
١٣ .البيان والتبيين ، دار الفكر للجميع ، بيروت ، ١٩٦٨ .
١٤ . الحيوان ، بتحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د.ت .
١٥ .رسائل الجاحظ ، تحقيق : حسن السندوبي ، الرحمانية ، مصر ، ١٩٣٣ .
جبر ، جميل
١٦ . الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد ، دار صادر بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤ .
جبري ، شفيق
١٧ . الجاحظ معلم العقل والادب ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
جعفر ، نوري
١٨ . الجوانب السايكولوجية في ادب الجاحظ ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١ .
جواد ، د. نعمت محمد علي
١٩ . العصر العباسي الاول في كتابات الجاحظ ، مجلة الاستاذ ، العدد ٥٥ ، ٢٠٠٥ .
الحاجري ، طه
٢٠ . الجاحظ حياته واثاره ، دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، ١٩٨٨ .
ابن ابي الحديد ، عزالدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني (٥٨٦ – ٦٥٦ هـ)
٢١ ٠ شرح نهج البلاغة ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ت .
الحصري ، ابو اسحاق ابراهيم بن علي القيرواني (ت ٤٥٣ هـ)
٢٢ . زهر الاداب وثمر الالباب ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ – ١٠٧١ م)
٢٣ . تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ .
خفاجي ، محمد عبد المنعم
٢٤ . ابو عثمان الجاحظ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٣ .

٢٥ . الادب العربي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن ابي بكر (ت ٦٨١ هـ – ١٢٨٢ م)
٢٦ . وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : د. احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٨ .
الدروبي ، د. محمد محمود
٢٧ .رسالة في مناقب خلفاء بني العباس ، حوليات الاداب والعلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت ، الرسالة ١٨٧ ، الحولية ٢٢ ، ٢٠٠٢ م .
السندوبي ، حسن
٢٨ . ادب الجاحظ ، المطبعة الرحمانية ، ط١ ، ١٩٣١ .
الشهرستاني ، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر (ت ٥٤٨ هـ – ١١٥٣ م)
٢٩ – الملل والنحل ، عرض وتعريف : د. حسين جمعة ، منشورات دار دانية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠
الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)
٣٠ . تاريخ الرسل والملوك ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٦ .
طنوس ، وهيب
٣١ . في النثر العباسي ، جامعة حلب ، كلية الاداب ، ١٩٦٠ .
الطوسي ، محمد بن الحسن
٣٢ – الفهرست ، المكتبة المرتضوية ، النجف ، ١٩٣٧ .
ضيف ، د. شوقي
٣٣ . تاريخ الادب العربي ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٧٥ .
٣٤ . العصر العباسي الاول ، ط دار المعارف ،مصر، د.ت .
٣٥ . العصر العباسي الثاني ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، د.ت .
٣٦ . الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف ، مصر ، ط٦ ، ١٩٧١ .
علي ، محمد كرد
٣٧ . امراء البيان ، دار الافاق العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٣ .
عطوي ، فوزي
٣٨ . الجاحظ دائرة معارف عصره ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧١ .
ابن االعماد الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩ هـ – ١٦٧٨ م)
٣٩ . شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ط١ ، المكتب التجاري ، بيروت ، د.ت .
عويس ، د. محمد
٤٠ . المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٧

ابو الفرج الاصفهاني ، علي بن الحسين بن محمد بن احمد (ت ٣٥٦ هـ – ٩٦٧ م)
٤١ . الاغاني ، ط دار الكتب ، د. ت .
فوزي ، د. فاروق عمر
٤٢ . الجاحظ مؤرخا ، مجلة افاق عربية ، السنة ٨ ، العدد٤ ، ١٩٨٢ .
٤٣ . طبيعة الدعوة العباسية ، ط١ ، بغداد ، ١٩٧٠ .
القالي ، ابو علي اسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦ هـ – ٩٦٨ م)
٤٤ . الامالي ، طبعة الهيئة المصرية ، ١٩٧٥ .
ابن قتيبة الدينوري، ابو محمد عبدالله بن مسلم
٤٥ .عيون الاخبار ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ، د.ت .
الكشي ، محمد بن عمر
٤٦ . الرجال ، مؤسسة الاعلمي ، كربلاء ، د. ت .
الكيالي ، سامي
٤٧ . النفس الانسانية في ادب الجاحظ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦١ .
ابن المرتضى ،احمد بن يحيى (ت ٨٤٠ هـ – ١٤٣٦ م)
٤٨ . طبقات المعتزلة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦١ .
السيد المرتضى
٤٩ . الامالي ، منشورات المرعشي ، ط١ ، ١٤٠٣ هـ .
المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ – ٩٥٧ م)
٥٠ . التنبيه والاشراف ، ط١ ، الصاوي ، ١٣٥٧ هـ .
٥١ . مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، ١٩٥٨ م .
الملاح ، د. هاشم يحيى
٥٢ . الجاحظ واسهاماته الثقافية في تعزيز وحدة الامة ، مجلة الحكمة ، السنة ١ ، العدد ٢ ، ١٩٩٨ .
بو ملحم ، علي
٥٣ . المناحي الفلسفية عند الجاحظ ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠ .
ابن نباته ، جمال الدين محمد بن شمس الدين محمد ابن شرف الدين الفارقي (ت ٧٦٨ هـ)
٥٤ . سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون ، تحقيق : ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٤ .
النجم ، وديعة طه
٥٥ . الجاحظ ابو عثمان عمرو بن بحر ، منشورات دار الجاحظ ، بيروت ، ١٩٨٢ .
٥٦ .الجاحظ والبلاط العباسي ، مجلة المعلم الجديد ، الجزء ٤ ، المجلد ٢٢ ، ١٩٥٩ .

ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن اسحاق (ت ٣٨٥ هـ – ٩٩٥ م)
٥٧ . فهرست ابن النديم ، مط الاستقامة ، القاهرة ، د.ت .
نوفل ، د . سيد
٥٨ .ابو عثمان الجاحظ في اسلوب الاديب المجدد والعالم الفيلسوف ، مجلة الهلال ، العدد ٩ ، السنة ٨١ ، ١٩٧٣ .
الهيتي ، حميد مخلف
٥٩ . من مظاهر التفوق البلاغي في ادب الجاحظ ، مجلة الضاد ، ج٢ ، ١٩٨٩ .
ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبدالله (ت ٦٢٦ هـ – ١٢٢٨ م)
٦٠ . ارشاد الاريب الى معرفة الاديب المسمى بمعجم الادباء أو طبقات الادباء ، ط٣ ، دار الفكر ، د.ت .